سعيد عقل

شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبُليس



سعيد عقل

شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباديّة

نوبلِس

للمؤلف

بنت يفتاح الطبعة الأولى ١٩٣٥ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

المجدلية الطبعة الأولى ١٩٣٧ ــ الطبعة الثالثة ١٩٩١

قدموس الطبعة الأولى ١٩٤٤ ــ الطبعة الرابعة ١٩٩١

رندلى الطبعة الأولى ١٩٥٠ ــ الطبعة الخامسة ١٩٩١

غد النخبة الطبعة الأولى ١٩٥٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

أجمل منك لا الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة ومزيد عليها)

لبنان ان حكى الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة السادسة ١٩٩١

كأس لخمر الطبعة الأولى ١٩٦١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

اجراس الياسمين الطبعة الأولى ١٩٧١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

كتاب الورد الطبعة الأولى ١٩٧٢ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

قصائد من دفترها الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

دلزى الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

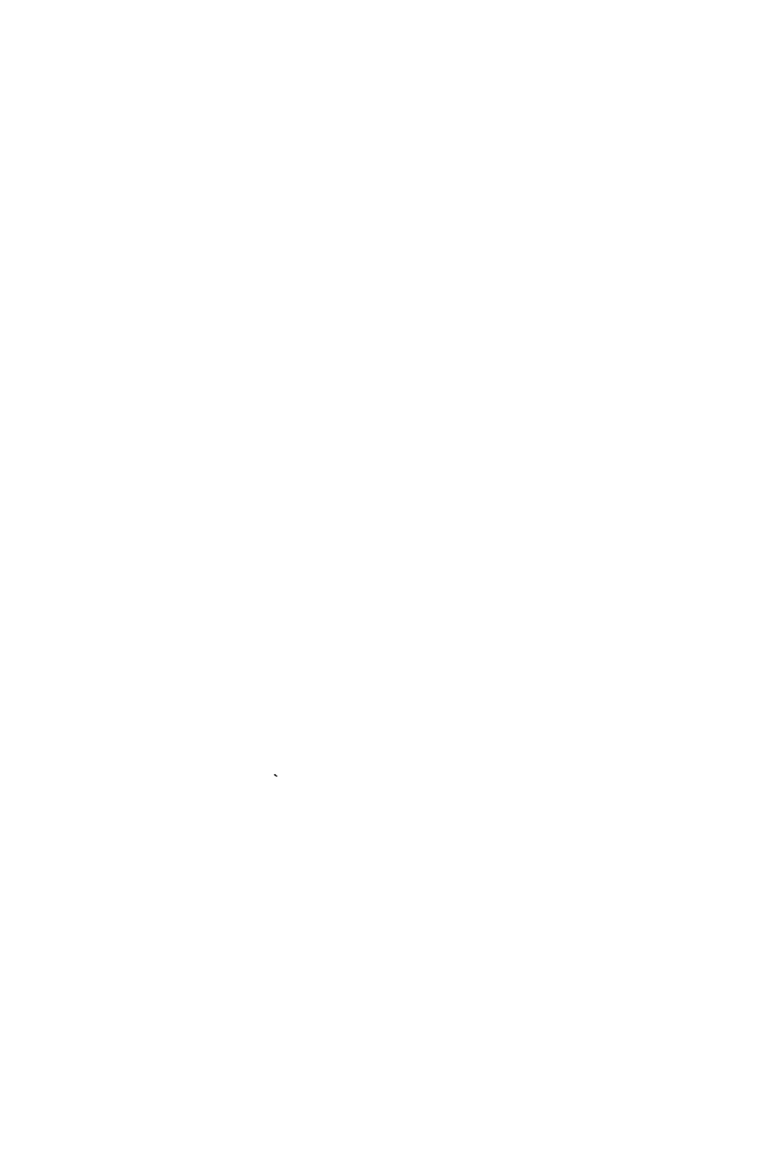
كما الأعمدة الطبعة الأولى ١٩٧٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مزيد عليها)

الوثيقة التبادعية الطبعة الأولى ١٩٧٦ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

خماسيات الصبا الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد السادس

كما الأعمدة الوثيقة التباعيّة



كمَا الأعْمدَة

الطبعة الاولى ١٩٧٤

الطبعة الثانية ١٩٩١

ليَ صَخرةٌ

مِن أَين، يا ذا الذي آستسمَتْه أَغصانُ،
من أَيـن أَنتَ، فَداكَ السَّرْوُ والبـــانُ؟

إن كنتَ من غيرِ أَهلي لا تَمُرَّ بنا،
أَوْ لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جِيرانُ !

* « لي صخرة »، « سائليني »، « غنيت مكة »، « نسمت »، « شام يا ذا سيف »، « مُرَّ بي » كلها قصائد تُغنّي بها فيروز.

ومـن أنـا ؟ لا تَسَلْ. سمـراءُ مَنْبِتُهـا
في ملتقى ما التقت شَمْسٌ وشُطـآنُ.

لي صخـرةٌ عُلِّقَتْ بالنَّجـم أَسكُنُهـــا
طارَتْ بها الكُتْبُ قالَتْ: تلكَ لُبنان !

تَوَزَّعَتْهـا هُمـومُ المَجـدِ فَهْـيَ هوىً،
وَكْـرُ العُقابيـن تَربـى فيـــه عِقبـــانُ.

أَهلي، ويَغلون، يَغـدو المـوتُ لعبتَهـم
إذا تَطلَّـــع صوبَ السَّفْـــح عُدوانُ،

من حَفنـــةٍ وشذا أُرزٍ كِفايتُهـــــم،
زنودُهـم إنْ تَقِـــلَّ الأَرْضُ أَوطـــانُ.

هل جنَّـــةُ الله إلا حيثُمـــا هَنِـــئَت
عينـاكَ ؟ كُلُّ اتِّساعٍ بعـــدُ بُهتـــان.

هُنا على شاطئٍ أَو فوقَ عند رُبىً
تفتَّح الفِكْرُ قلتَ: الفكـرُ نَيسانُ !

دنيا الى نُقطةٍ شُدَّت وما هَرَقَتْ
دَماً، أَلَا إِنَّ خُلْقَ الحُرِّ سُلطان !

*

كنّا ونَبْقى لأَنّا المُؤمنون بهِ
وبعدُ، فَلْيَسَعِ الأَبطالَ مَيْدان !

على شاطئ الذات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غَمْضَةِ الأَشهُبِ،

حوالى مَطَلِّ الوُجود،
في العَبَق الطَّيِّب،

هنالك، والآنُ بين
المُمَهَّل والمُسْهَب،

شددْتُ يَدَ السرِّ وَهْوَ
على المَهد بعدُ غبي.

*

أنا ابنُ الدهور، ابنُ لبنانَ،
وعيُ الخليقةِ بي،

أنا جُبْتُ ذاتي وأفرغتُ
أُغنِيَّةَ المَطلَبِ،

نَهِلْتُ الذُّهولَ، نهلتُ
شحوبَ الفتى المُتعَبِ،

وصمتَ المساءِ يَلُفُّ
اليتيمَ وقَبْرَ الأَبِ،

نَهَلتُ الشَّقاءَ المُهِلَّ
جميلاً كوجهِ نَبي.

أَنا ثَرْوَةٌ كالكآبة
عُمقاً وكالغَيْهَبِ،

غنيٌّ أُحِسُّ الوُجودَ
غُباراً على ملعبي.

يقولون: قافلةٌ،
هنالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشيدُ على الفَتْحِ أَثبَتَ
من مَجدِكَ الخُلَّبِ،

لها صفحةُ الأَرْض مرمىً،
وناصيةُ الكوكب.

قُلِ :الفتحُ غمسُكَ في الذات
كَفًّا من الصُّلَّبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشْفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنَّك حُلْمُكَ ضُمَّ
إليكَ... ولم يكذِب !...

أجملُ الأعراس

ذكَّرنَني، شجَراتِ، اللوز، بالأَبيضْ،
بثوبِ إكليلها وهْيَ اليمامُ البضْ،

بها... تخطَّرُ... تسترخي مدلَّلةً
على ذراعِ فتىً كاللَّيثِ إنْ ينقض.

سَيْفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبدُه،
تقولُ: طَرْفُ الردى إمّا التقاه غض.

مَلاكُــه هيَ، إن دسَّت أَناملَهــا
بين الورود استحى شوكٌ لها وارفض...

اللهُ يا شجراتِ اللَّـوز، غَرْنَ ولا
تَغَرْن... فالحُسْنُ أَشْهى الحسنِ ما أَمرض!

مِن الزمانِ أَراهـا اليـومَ راجعـةً
تمشي الى بيتنـا في طَرْحةٍ أَعرض.

ودِدتُ لو أَتلقَّاهـا وأَحبِسَهـا
في القلبِ شقراءَ شُقْرٍ كالشعاعِ الغض،

أُغنيَّـةٌ هيَ في بالـي وأَسمعُهـ
مهبَّ ريحٍ دنا أَو ناسِماً أَعـرض...

لا لا تخيَّلتُهـا إلا وزَنْـدُ أَبـي
يلُفُّ منها عروساً خصرُها ينـهض...

فخر الدين الثاني

يا اندفاعَ الأَمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأَميرِ !

ببقايا حُلْمٍ تفوَّفَ بالصُّبح،
وأَلوى، فالصبحُ مأْتمُ نور،

فيه من وثبةِ الجريحِ الى الثأْر،
وفيه من احتضارِ النسور !

*

هو فخرُ الدينِ، الفتى، يقرأُ الأيامَ
في قولِ خازنيٍّ وَقور،

فيرى الأمسَ من مذابحَ حُمْرٍ
نافراتٍ على ممرِّ الدهور.

جَدُّه، قِبْلةُ الشموس، قتيلٌ،
وأبوهُ، دنيا أسىً، في حفيرِ،

والدُّروزُ الأُباةُ يُغْويهمُ السيفُ،
فيستقبلونه بالصُدور،

وإذا وجهُ عين صوفرَ أشلاء،
وآفاقُها بلون الزفير،

ويغضُّ الأميرُ طَرْفاً، ويُخْفي،
خلف جفنيه، هَزَّةً للعصور.

*

بسَمَ الدهرُ للشريد، وأَعلى
العرشَ، ظمآنَ، للأَميرِ الصغير،

أَرضُ لُبنانَ حَفْنَةٌ، إنما ملعبُ
عينيهِ بَعْدَ بُعْدِ الضمير،

عصرت قلبَهُ حدودٌ دوانٍ
فرآها على شَفا المعمور،

واستثارَ الأَبطالَ يَستلهمون
المجدَ... دوري بهم، ذرى المجدِ، دوري!

سالَ فيهم شاطي طرابُلسٍ، وانشقَّ،
تِيهاً، عن أَنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سَيْفا الى التُّربِ،
وخلَّى الصَّدى بِصُمِّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ،
يُحسُّونها قناً في الهدير !

*

وتنادَوْا من الشِّمال الى زحلةَ
يسترفدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنَّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُ الفُريخِ، دانَ شَفا
الأُردنِّ، في وثبةٍ ونفخةِ صور.

عُصْبَةٌ بُسَّلٌ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ، رمْيَ النُّذورِ،

قيل: حجٌّ ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلَتْ في النُّهى نزولَ النُور.

*

كاد وجهُ الأَمير يَحجُبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور !

كاد لبنانُ يلتقي العاليَ البابَ
بزَنْدٍ سَمحِ الفُتولِ، قدير !

فتلوَّت أَستانةٌ روعةَ الواجف
هزَّتْهُ غَصَّةُ المقهور،

حلَمتْ بالشواظِ يُمْطِرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفير،

فإذا البَرُّ من غُبارٍ عُبابٍ،
وإذا البحرُ من دُخانٍ حَرور،

مِن عِدىً بُكَّرِ العَتادِ، تكاد
الأَرضُ ترنو إِليهم بنفور.

لم يَرُعْهُ التقاؤُهم وعلى الكفِّ
فؤادٌ له حبيبُ الكرور،

راعه حُلمُه تُحطِّمُه الأَقدارُ،
طفلاً في هدهداتِ السرير،

فامَّحى عن عَدِيِّهِ، يكظِمُ الغيظَ
اشتياقَ اليومِ الكبيرِ الكبير.

*

بينما الناس هُيَّمٌ بِعليّ
وَلَدِ السيف، حَدُّه المستطير،

كان في مقلَبِ النهارِ أَميرٌ
مُجهَدُ الطَرْفِ، مجهدُ التفكير،

يتلوّى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطِها والسطورِ،

مُتْعَبٌ، يَفجُرُ الأَسى مِحْجَرَيه،
وتداويه بسمةُ المحرورِ،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبنانَ،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُّ التقاءَةَ الأَرز بالوهم،
فيَجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطةُ ارتقصتْ زهواً،
وطارتْ من كفّه في سرور !

حَملَته الى شواطئِ لُبنانَ،
أَواذِيٌّ من منىً وحُبور،

والتقاه البَلاطُ مولىً سيحمي
جبهةَ التُّركِ من عدوٍّ مُغير،

« شَفيتْ من طموحه » مقلتاهُ،
وتعرّى من الخيالِ الخطير،

لو رأَوْا في البَلاطِ نوراً لكبُّوا،
في خضمِّ البوسفور، بازَ القصور !

*

داسَ في أَرضه الأَميرُ، فراح
الجبلُ المَيْتُ في ثيابِ النشور،

وسرت رِعشةٌ بلُبنانَ هزَّت
من ذُرى أَرزه الى صخرِ صور:

أُمَّةٌ تستردُّ مجداً سليباً،
وأَميرٌ يلهو مع المقدور.

يا حِجاراً خوافتَ اللونِ في لُبنانَ،
قُصِّي كتابَ عهدٍ نضير!

قَلعاً كنتِ، ضاحكاتٍ من النَّجم،
حساناً، ممرَّداتِ الخصور،

أَنت تَيرونُ! أَنتِ عجلونُ! أَنتِ
المَرْقَبُ السَّمحُ ماطراً بالسعير!

أَنا ما دُستُ مرَّةً حجراً منكِ،
ولم أَنتفضْ لذكرى الأَمير!

حَدِّثي! حدِّثي! ففي لونكِ الناحِل
أَطيافُ جيشِنا المنصور!

سالَتِ الأَرْضُ بالخيولِ معَ الأُردنِّ،
سالت مع الخيالِ النَّفورِ،

تزرعُ الرايَ خافقاتٍ، من العاصي
الى المْيتِ، ضاحكاتِ النُّشور،

ومن الأَبيضِ الكبيرِ الى تَدْمُرَ،
رقراقَةَ السنى والحُبور.

ضحكتْ، يومَ عنجرَ، الأَسَلُ السُّمْرُ،
وشكَّتْ قلبَ الضحى المستجير،

لَجبٌ طيِّبُ العَتادِ التقته
باقَةٌ من شبابنا الممرور،

سايفته،لا قَطْعُها قَطْعُ جُبنٍ
رامحته،لا شكُّها شكُّ زور.

أَجفَل السهلُ للطِّعانِ ، وأَغضى
وجهُ حَرْمونَ للدم المهدور،

ينثرُ السيفُ قِرنَهُ، فتخالُ
الأَنجمَ الحمرَ من حُسامٍ نثير،

وتخالُ الأَميرَ، في جَيشِهِ العابسِ ،
يمشي على ابتسامِ الثغور،

ظلَّ هَزْجُ الفرسان يلعبُ بالليل
الى سفرةِ الصباحِ الطرير،

فاذا صبحُ مصطفى، قائدِ التُّرْكِ،
حزينُ السنى، حزينُ السُّفور،

ما رآه الأَميرُ إلا التقاه
بسخيٍّ في كفه، موزور،

ضربَةٌ منه سمحةٌ كبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأَطلَّتْ شمسُ الغَمامِ، فحيَّت
جُنْدَ لُبنانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ الله، لستَ لي بأَسير،

أَنتَ حرٌّ! فطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملأَ العينَ من سنى التحرير! »

*

نكَّستْ هامَها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلِّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبِ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبوساً،
فعلى الشرقِ رِعشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أَسْتانةَ،
نجوى حِداً ونجوى نفير،

أَيخلِّي مرادٌ الرابعُ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أَيخلِّي أَميرَ لُبنانَ تَيَّاهاً،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلُمٌ في خيالِ لُبنانَ رحْبٌ،
رعرعَتْه فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تمخرُ العُبابَ وتُبقي
الهِرقليَّاتِ، خلَفْها في قصور،

تقصدُ القُطْبَ، والشواهقَ في القطب
تؤاخي مناجماً في بكور،

وتدورُ اعتزازةً حول بِكْرِ الأَرض،
تُغري النُّضارَ من أُوفير،

تزرعُ المُدْنَ في الشطوطِ، تربِّي
قاهرَ المستحيل رمزَ القدير.

ويتيهُ السلطانُ في حُلْمِ لُبنانَ،
فيُلوي على جِسامِ الأُمورِ.

*

حملةُ اليوم، لو تكونُ للُبنانَ،
لردَّته سيِّدَ المعمور!

مِن رجالٍ أَوْفَوْا على الهمِّ عَدًّا،
وسفينٍ أَربت على التَّقديرِ،

فاللَّهيبُ اللَّهيبُ يُمطرُ لُبنانَ،
ويرميه بالردى والدُّثور،

ويخلِّيه شعلةً من صخورٍ
بعد أَن كان شعلةً من زهور،

وحوالى الأَميرِ من كاظمٍ قَسْراً،
ومن حاسدٍ أَتيِّ الشرور،

أَعينٌ يخنقُ السنى لفتةً منها،
فتُغضي على مُرادٍ ضرير،

ما اطمأَنَّتْ للتُّركِ يولونها القوةَ،
إِلَّا تفجَّرت عن قبور،

العِدى في رجاله، والعِدى التُّركُ
بحورٌ إليه إثرَ بحور،

يلتقيهم لبنانُ بالعُصبةِ البُسَّلِ
تاقوا الى الطِّعانِ الأَخير،

فيموتون عن نفوسٍ كبارٍ،
وينامونَ ملءَ طرفٍ قرير.

قلعةٌ إِثْرَ قلعةٍ تُسْلِمُ الأَبراجَ،
إِلَّا تَيرونَ، أُختَ النسور،

معقِلُ الحُلْمِ كم أَبت أَن تَداعى،
هُزُؤاً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأَميرُ بالدمع، لولا
السُّمُّ في مائها الزلالِ النمير،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أدمى غناءَ الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأستانةَ
مُخضوْضِبٌ بحلْمٍ كبير !

*

يا اندفاعَ الأَمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأَمير !

الهُنَيْهَة

عالَمٌ طيّ نَغَمْ،
يتحدَّاهِ العدمْ،

ضَمَّةُ القَبْلِ إلى البَعْدِ
بعُمْرٍ مُتَّهَمٍ،
[illegible]

دقَّ كالبرقة، شُكَّت
خيمةً فوق الأُمم،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجِّرْهُ هِمم،

أَو بِناءٌ من خيالٍ
لم يُرغْرِغْهُ شَمَمْ،

يُخصِبُ الفِكرةَ يستنطقُها
السِرَّ الأَصمْ،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

*

وإذا نحنُ، الى اللهِ،
شِراعٌ في خِضَمْ !

تكسرت الأسياف

تصبَّاكَ شِعري، قلتَهُ قِمَمَ المجدِ،
سلامٌ عليه السَّيفُ أُعجِبَ بالغِمْدِ !

وقلتَ به ما صيَّر الآهَ وردةً
وأُنتَ جِراحُ الآهِ، يا نسمةَ الوردِ !

---

* في يوم امين تقي الدين.

حَبَبْتُكَ، ما حُبّي الشهامةَ ؟ ما الغِوى
بأَهلي وبالقِمّاتِ من جَبَلي الفَرْدِ ؟

أَنا، بعدَ ما طَلَّمْتَنيهِ، تطلَّعتْ
جهاتي إِلى نفسي ونفسي إِلى الزُّهدِ.

هُناك التقينا وافترقنا،... جراحُنا
لتبنيَ، لكنْ أَنتَ تسكرُ بالوعدِ،

وأَقسو أَنا أَقسو، أُريدهُمُ لها،
فإِن جَبُنوا طُلَّتُ الجناحين لي وحدي.

*

كأَنّي مهبُّ الرّيح، والصَّعبُ منزلي،
وشُغْلِيَ حَطُّ الحُسْنِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ.

كأَنّي غموضُ الليل، لم يَبْقَ عازفٌ
لِجنّيَّةٍ إِلّا ورقّصها عندي..

أقولُ: الحياةُ العزمُ، حتَّى إذا أنا
انتهيتُ تولَّى القبرُ عزميَ من بعدي

وأقرأْتَني يوماً كما لو من الصَّدى،
ومن كاعبٍ في الشِّعر عاليةِ النهدِ،

لَتُفدى الحياةُ استُجمِعَت في قصيدةٍ
وغَنَّت وردَّت... فانتشى الأُفْقُ من ردِّ...

تقول بها: «خَبَّأْتُ يا ليلُ فيكَ...» ولْيُكَمِّلْ
ويَفْنَ الليلُ في النَّغَمِ الرَّغْدِ!..

تعاظَمَني ما ظَلَّ منها وما انتهى
ويُعدي، وعينيكَ، البهاءُ به، يُعدي...

وصِرنا هي الدِّفلى... وصِرنا أنا الندى.
ونُنقَشُ من ديوانِ شعرٍ على الجِلْدِ...

ذَرُوني... سأطوي قصَّتي مع قصيدةٍ
الى أن يطيبَ العُودُ في نَقرةِ الكُرْدِ.

*

ويا أيُّها الدِّيوانُ ضَمَّ شمائلاً
كما ضمَّ موجوعَ العَرارِ ثرى نَجْد،

تَنزَّلْ تُخَلِّ الشِّعرَ أَشْعَرَ، والهوى
أرقَّ، وذاكَ المنحنى جنَّةَ الخلد !

لِحِبْرِ هَمي كالضوءِ عن جَرِّ ريشةٍ،
تطلعَّتِ الأقلامُ تَنهلُ مِن نَدّ...

هُو السَّفْحُ يُستهوى، على أَنه الذُّرى
إذا قُصِدَتْ خلَّت لُهاثاً على القَصْد،

كذا طُرُقُ الأَبطالِ في القولِ والوغى
وما سَهُلَتْ ألّا جبانةُ مُرتَدّ.

إذا نَقْطُ حرفٍ شاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أنيقاً، فقلْ عينٌ تَعذَّبُ من سُهْد.

تعالتْ يَداهُ شاعِرٌ، كلُّ نَسْمَةٍ
تُلِمُّ بما أَخفاه، تَشقى بما تُبدي،

وَلُوعٌ بأَنغام السُّكوتِ يَصبُّها
لِمِلَّة رَفْضٍ، يُسْكِرُ الضِدَّ بالضدِّ،

أَنا واحدٌ منهم، فلولا أُنينُه
لكانتْ لِقرطاسي جفاءَةُ مُعْتَدّ.

يقولون بي غالى ؟ أَنا بَعْضُ نُبْلِهِ
وأنظِمُ، عيني في قصائِدِهِ المُلْد...

سَليلُ الأُولى قيلوا السيوفَ[1] ، رَنَتْ لهم
جِبالٌ وقال الحقُّ: مِن بعضِهِمْ جُندي.

---

١) الدروز.

على ريفِ لُبنانَ، نَمَوْا مثلما نما
الضياءُ، وسالَ الفَجْرُ في القِمَمِ الجُرْدِ،

وأنّى مَضَوْا ظَلّوا بلبنانَ قلبُهُمْ،
ويَصبو الى أَرْضِ العَرينِ هَوى الأُسْدِ.

يُشرِّقُ شَطٌّ أو تُغرِّبُ مَوْجَةٌ
وهم عنفوانُ الصخرِ ليسَ الى شَدِّ.

أنا اليومَ منهم في قصيدةِ شاعرٍ
لَتَسكُنُني كالريح تَلْفَحُ من بَرْدِ.

أعودُ اليها الآنَ، هل طابَ تَقْرُهُ
على العودِ، ذاكَ الغارسُ القُرْبَ في البُعدِ ؟

وذاتِ دَلالٍ كلَّ صُبْحٍ تَزورُني
فأقرأُها مِن أَخْمَصَيْها الى العِقدِ،

الى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمس ظِلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِن البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٌ فوقَ هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صيغَ مِن سَكْبَةِ الزَّنْدِ،

وتَعذُبُ... لكنْ ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فتُعطي ولا تُعطي، مُلعَّبَةَ الصَّدِّ

بِقَدٍّ تسامى زنبقيًّا فإنْ هوى
وأوجعَ... قُلتَ اللحنُ ماتَ مع القَدِّ.

وتَقْلَقُ دوماً ليس تهدَأُ، فهْيَ لي
ولِلوجد أو للمجد، أشهى من الوجد !

وزِيدَ عليها مِثْلُ لا شيءَ، مِثْلُها...
كما لَفْحَةٌ نَسْيُ الإله على الخَدِّ.

ويَزْلَقُ بي طرفي... أَشَلَّالُ لُؤلُؤٍ
سنى الجِسْمِ مَدْرِيًّا على الشَّعَر الجَعْد ؟

أَبيضاءُ أَم صَهْباءُ ؟... دَعْكَ وضُمَّها...
كأَنْ قد أَضلَّتكَ الغِلالَةُ عن رُشْدِ...

تَمتَّعْ... صِبا حسناءَ ذاكَ أَم آنه
قصيدةُ مَن إن راح يَنْظِمُ لا يُردي ؟

به أَو ببعضٍ من سُلالةِ شِعرِهِ
زهونا زُهُوَّ البرْقِ أَو قصفةِ الرعدِ...

وربَّ كلامٍ رُخْتَ تَنسى رنينَه
ومِدْرارُهُ ما زاد عن حَبَّة الرَّند،

تكسَّرتِ الأَسيافُ دونَ جَلالِهِ
وقالت بلادٌ: حُجَّهُ، إنه مجدي !

مِن وَردتينِ اثنتينِ الشمسُ ...

سيفٌ على البُطْل أَم شيماتُكَ الحُرُمُ ؟
ــ يا شِعرُ خَلِّدْ ــ وسيفٌ ذلكَ القَلَمُ!

فكيـفَ مَرُّكَ بالجُلّى ؟ سأَلـــتُكَ قُلْ
ما هابَكَ الموتُ ؟ ما انزاحَت لك الظُّلَم ؟

---

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غزَّارَةٌ كالصحـــو، مُلْتَــفَتٌ
كأنَّمـا الصَّقْـرُ في تَحديقِــهِ نَهَـــمُ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلَّ هٰذي ضُوِّحَتْ طُوِيَتْ،
صَدَّقْتُهُم فَتَّ في عَزْمِ الشَّبـا الهَـرَم،

صَدَّقْتُهُـــم عَلِمـــوا بالعَبقـــريِّ مضى،
لكنهـم بِشمـوخ الـرأسِ ما عَلِمـــوا.

*

بالأمس ديــوانُكَ استنجدْتُـــهُ عَبقـــاً
منـــه الخَـــزامُ، عَلِيَّـــاتٍ به القِيَـــمُ،

فَخِلْتُنـي فَلَكِـــاً، مِثْـــلُ البـــراءَةِ لي،
حَولـي يَدورُ السُّهـى يَجثـو ويَسْتَلِـمُ،

أبابـلُ، قلتُ، زارَتْني وقـد حَمَـــلَتْ
إلَـــيَّ أشيـــاءَ أم غنَّانِـــيَ الهَـــرَمُ؟

ولعِبْتُ، أولَمْعْتُ، وَدَّتْ لو تكونُ أبا
روحُ الربيعِ، ووَدَّ الزَّهْـرُ والأَكَمُ!

*

ما لي أغنّيكَ: «أهلي النُّورُ مَنْبِتُهُمْ،
عالُونَ كالأَرْزِ، جارُ اللهِ، ما رُغِموا

مّا نكَّسوا هامَـةً إلّا لِخالِقِهـا
إلّا لِلُبنانَ ما دانُوا وما احتكَمُوا،

في إثرِهِمْ أنا، دُنيايَ الجمالُ، وإنْ
باعدتُ فالسفحُ مِنْ لُبنانَ والقِمَمُ؛

إلّا إليكَ، إلهي، ما مَدَدْتُ يدي
أجوعُ؟ مِنْ شَرَفي خُبْزٌ ومغتنَمُ.

ويومَ مرَّ ببالٍ أن تكونَ لنا
يَراعةٌ بالهُدى والنُّبلِ تضطرِمُ،

على السنى وعلى شَكٍّ القنا رَبِيَتْ
على الزئير ءأُواناتِ الحِمَى أَجَم،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخرَ الدين مُنتهِراً:
« جنودَ عنجرَ، هذا يومُها الهِمَم ! »

يَسْخَى فيَسْخَوْن، قُلْتَ السيفُ في يده
يسخى وتلتفِتُ القِيعان والرُّجُم،

حَرْمونُ في الأُفْقِ يَروي عَن بطولتهم،
صِنِّينُ يَغوى بِهم تِيهاً ويَنسجِم،

لله ما مادَ مِن بُرْجٍ، وزُلْزِلَ عن
سَرْجٍ، ومَن قَضَموا رُمْحاً ومَن قَحَموا،

هُمُ الأُولى أَخذوا عن راسياتِهِمُ
أَنَّ القِلاع وأَنَّ الراسياتِ هُمُ !

حَتَّى إِذا قال: « كُفُّوا، قد عفوتُ أَنا،
بِحسبيَ النَّصْرُ، ما لُبنانُ مُنْتقِم »،

تَلاحَظَتْ مِن أَساها الخيلُ صاهِلَةً،
وفُتِّتَتْ كاظماتٍ غيظَها اللُّجُمُ،

لكنَّما عَبْسَةٌ من حاجبيه طَغَتْ،
فعادَتِ الخيلُ كالفُرسان تَبتسم !...

*

طَابَت قصائِدُ خِلْتُ الجيشَ مندفعاً
فيها، ومؤتلِقاً في أُفْقِهِ آلعَلَم !

شِعْرُ الرجولَة، شبلي، أَنتَ نَبْعَتُهُ
بِكَ ارتوت أُمَّةٌ، مِنك انتَشَتْ أُمَمُ.

بَلى بَلى، لَكُما في الدَّهْر وَقْعُ خُطىً
على العُلى لُوِّنَتْ مِن شأْوِها الدِّيَمُ.

أَلْفاظُكَ الدُّهْمُ حُمْرٌ حينَ تَرْصُفُها،
لا حُمْرُهُ أُسرِجَتْ أَبهى ولا الدُّهُمُ.

أَأَنتَ أَمْ هُوَ مَن خَلَّى الجَمالَ على
مفارِقِ المَجدِ، مُفْتَنًّا بما يَسِمُ؟

خَلَطْتُ بَينكُما حتّى لَأَسأَلُهُ
أَشاعِرًا كانَ حِينَ الطَّعْنُ مُحتدم؟

تَوَقَّع السَّيفُ يَوم اختالَ في يَدِهِ
ما سَوفَ تأْخُذُه عن حِبْرِكَ الحُمَمُ.

أَنتَ المُرَوِّعُها الأَفْكارَ تأْسِرُها،
هو المُمَنِّعُها الهِمّاتِ يَنْتَظِمُ.

هُنا امستشاقٌ لمعنىً زَنَّ يارِقُهُ،
هناكَ نَقْطٌ بِنَصْلٍ والحروفُ دمُ.

تُغري ويُغْري فَلَفْظٌ منكَ هَزُّ قناً،
ومنه قَطْعٌ تَقولُ البيتُ يُخْتَتَم.

أرهفتُماها القَوافي حَدُّها لَهَبٌ،
أجريتُماها المَواضي سَيْلُها عَرِمٌ.

مَرَرْتُما فوقَ دُنيانا معاً ومعاً
لاعبتُما الموتَ حتَّى لَهْوَ مُنْهَزِم.

يا صِنوَه مَنبِتاً ذاكَ الذي نَحتوا
مِن اسمِه اسمَك، هَل أُنطَقْتُ مَن وجَموا ؟

تفي ولو أَنتَ خَلْفَ القبر، هاكَ أَنا،
في يومِ خُلْدِكَ، صوتي بَعْضُهُ الكرم.

مِن وردتينِ اثنتينِ الشَّمسُ أَرفعُها،
فالكونُ شَخْطَةُ حِبْرٍ والمَدى كَلِم !

في البال خلف الحرير الزهْرِ خاطرةٌ
تململت قُلْتَ حُسنٌ بالهوى بَرِمُ،

ــ « حبيبيَ الحُلْوَ، نادت، والذِّراعُ على
جيدٍ، وُجُودٌ أنا أَم وَهْمُ مَن وَهموا ؟

حَلَمْتَني ؟ أَكْمِلِ آنْخُلُقْ، ليس أَجملُ من
إطلالةٍ راكعٍ في بابها العَدَم.

مِن بَعدِ ما أَلتقي نَفسي يُخَيَّلُ لي
أني أنا قُبلةٌ حَرَّى وأَنتَ فَم ».

لا لم أُجِبْها، جمعتُ الدَّهرَ، مَن عشِقوا،
مَن أَسكَروا الكأْسَ، مَن قالوا ومْن أَثِموا.

سَقيتُها لا دمُ العنقود أَطيبُ لا،
ولا الخلودُ ولا ما فتَّقَ القِدَم،

وما بقرطاجَةَ استَهدَوْا وما اعتَزَمَتْ
بِبعلبكَّ الطِّوالُ السِّتَّةُ العُظُم.

رَوَيْتُها لي، لِبالي، لِلزهور، لَها،
كما رويتَ لِعودٍ أَنَّهُ نَغَم!

فَقَرَّبَتْ شَفَةً وَلْهى إلى شَفَةٍ،
وهَبَّ يَعْطِفُ قَدَّ الزنبقِ النَّسَمُ.

أَوَّاهِ مِن كَرمةٍ لَم يَصْحُ قاطفُها
إلاَّ ليشهَدَ هذا الكونَ يَنعدم!

ومَن رَقَى الموتَ؟ مَن قالَت أَصابعُهُ
سأَسْحَر السِّحْرَ حتَّى تُبْعَثَ الرِّمَم؟

أَمانَ عَينيكَ، بيتَ الشعر، أَنت لها،
يا أَنْجُمُ ارْقُصْنَ لي، غَنِّينَ يا سُدُم!

الشِّعر قَبْضٌ على الدُّنيا مُشعشِعَةً
كما وراءَ قميصٍ شَعْشَعَتْ نُجُم،

فَأَنْتَ والكَونُ تيَّاهان: كَأْسُ طِلاً
دُقَّتْ بكأسٍ وحُلْمٌ لَمَّهُ حُلُمُ.

*

عالٍ كما أَنتَ شبلي، ما رَشَقْتُ به
بابَ السماءِ وما بالغَيب يَصطدِمُ،

أتي على المُغلَقِ المَرصودِ فانفَتحت
كَفٌّ من الله ما الأَزهارُ ؟ ما الحِكَمُ ؟

شِعرٌ إليَّ يَشُدُّ المنتهى جَزِعاً
قَلْباً، ومِنهُ بقلب المُنتهى أَلَم.

سارَرْتُها الشمسَ، أَيُّ الخَمْر يُسكرُها
حتَّى أُصُبَّ ؟ فقالت: « يُسْكِرُ الشَّمَم ! »

النَهران

وُلـدتُ سريـري ضِفَّـةُ النهـر، فالنهـرُ
تآخى وعُمري مثلمـا الـوردُ والشَّهـرُ،

وكـان أَبـي كالْمَـــوج يَهْـــدُرُ، مرَّةً
يُدحرج من صَخرٍ وآناً هو الصخرُ !

---

* في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علَّماني الحَقَّ، ما الحَـقُّ ؟ دُفْعَـةٌ
كما السَّيلُ عنه انشَقَّ واخضوضَرَ القفر.

وعُمْـــرٌ شَرارٌ ليس يأْسُنُ ينتخـــي
على الصعْب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأَنك خَطٌّ كالشهامـــة واقِـــفٌ
إذا انهار ظَهرُ الناسِ أنتَ لهم ظَهر.

وما قَلَمٌ بالكَــفِّ إن لم تَهِــم به
مواضٍ وتَـحْسُدْهُ الرُّدينيَّةُ السُّمْـــر !

تَوحَّـــد مَنْ مِن حَزِّهِ طاب حِبْــرُهُ،
ومَـن بتلقـي طَعْنِــه افْتُتِـــنَ الصَّدر،

أَنـا عنهمـــا ذَيِّيْـــنِكَ الشائِليـــنِ بي
أَخذتُ ولم أَسكَرْ، وبي تَسكرُ الخمر !...

كأنِّيَ بين الموج والمجدِ ساكنٌ،
وداريَ بنتُ الصُّبح ما شابَها عَصْرُ.

لَئِن تَحْكِ عن نَهْرٍ فشَطْرُ قصيدتي
يُطِلُّ، وهُزَّ السيف يكتمِلِ الشطر!...

*

تُحَبِّبُنِيهِ «الدونَ» كُلُّ تُرابةٍ
سَقاها سَقى أُختاً لها القَلَمُ النضْرُ؟

كلامُكَ يُغرينـي، يُرنِّحُ خاطري،
يُذكِّرني بالأَرض، أَرضي اللَّهَا ثَغْرُ،

تُقَبِّلُ حتَّى لَهْي أُمٌّ... وطفلَةٌ
رِضًى... وعروسٌ فاحَ مِنْ رُدْنها العِطر!...

أُغنّي أَنا لُبنانَ أَجْمَلَ ما شَدا
كَنارِيُّ غُصن رَقَّ، لكنه نَسْر...

وأَنْتَ تُغنِّي رُقعةً من جبالها
جبالٌ، عليها مُتعَباً يَتَّكي الدَّهر.

كِلانا شَغوفٌ بالضِّفاف وأَهلِها
يُنَشِّئُهُم نَبْعٌ يُخَلِّقُهُم زهر،

كَنبعهمُ أَعطَوْا جديداً وطَيَّبوا،
كزهرِهِمُ الدنيا، وكالزهرةِ افترُّوا...

تُغنِّي هدوءَ « الدون » ؟ عَفْوَكَ: أَهلُهُ
إِذا بَعثروا فَجْراً أَهَلَّ لهم فجر !

جَلَلْتُكما عنها فلا « الدونُ » هادئٌ
ولا أَنت، إِلاَّ أَن يَلُفَّكما السِّرُّ.

أُسائِلُ: « هل حارت بغير نُهاكُما
عقولٌ، وهل جاهى بمثلِكما العَصْرُ ؟

ونَهْرُ الرجـال المُنتهـي خَلْـف أَنجـمٍ
وأَنت تَخُـطُّ النهـرَ، أَيُّكُمـا النَّهـر ؟ »

*

حَبيــتُكَ، يا غزَّارَةً ما تجاهَـــرَتْ،
ومَن قال: صوتُ الناي أَجمَلُهُ الجَهْر ؟

تَميـلُ على القِرطـاس تأْمُـرُهُ: آمتثـلْ
غَمامـاً، فيَسخـى ليسَ يَجْرحـه الأَمرُ،

إخـالُ الرِّقـاعَ الـخُضْرَ بِتْـنَ حبائبـاً
إليكَ... فها عُنْقٌ يضِجُّ وها خَصْرُ !...

وأَنت حَواليَهـــن كَفٌّ عطيَّـــةٌ
كما الله إنْ قَطْراً أَرادَتْ هَمى القَطْر !

وإن أَنتَ قصَّفتَ الـــغُصونَ تلأْلَأَتْ
غصونٌ عليهـــنَّ الطيـورُ لهـــا كَرُّ.

تُعاتِبُ أَنتَ الشَّيحَ والريح، باعداً
عشيّاً، فتبكي الريحُ والشيحُ يصفرُّ !

أَلا أَين مِنْكَ الصاحبون ؟ هَزَزْتَهُم
بِقولٍ وبعضُ القول ناهِدَةٌ بِكر.

لِطَرفةِ جَفْنٍ مِن حَياها غَضيضةٍ
يَذِلُّ الذي في القَصْرِ أَو يَقَعُ القصر،

ولِلَّفْظةِ المكنونِ سِرُّ جمالِها
نَفاذٌ كهَدِّ المَوج جُنَّ به البحر.

*

تَقُصُّ ؟... ارتفق بالشِّعر، أَنت بدَعْتَهُ
كلامُكَ زَهْرُ الجَمْر لو يُزْهِرُ الجمر.

تَخُطُّ كما خَطَّ اللعوبون بالعُلى
على أَنمُلاتٍ منهُمُ اغترب الفِكر،

يَحُـــرُّونَ كونــاً، يَنزِلــونَ بآخــــرٍ
وكُلٌّ على كَفٍّ... فقلْ بعدُ ما السِّحْر!

*

إليكَ بنَفْــحِ الأَرز جَمّــا بعثْتُــهُ،
وعُلِّــقَ عُودُ اللهِ في الأَرز. فالنَّقْــرُ

وشيكٌ. كُنِ العــوَّادَ وآضرِبْ بريشةٍ
على مَوعدٍ مَعْ مثلِها العَمْرُ والغَمْـر.

وأَنتَ من اللائــي يُحِبُّــونَ. إنهــم
على أَرضِكَ المِعطاءِ، أَفديهِـم، كُثْـر.

ومِن عِندِنا المَجْدُ الذي المَجْدُ بعضُهُ
إليـه رنـا مَن أُلْهِـمَ السِّفْـرَ، والسِّفْـرُ،

فَلَـمْ يُعْطَـهُ من سار بالشِّعر لاهثـاً
ولكنَّما مَـن جـاءَ يَقصِـدُهُ الشِّعـر.

اللون الآخر

بِبالـي مررتَ اليـوم، فَلْيَشتعِـلْ بالـي،
كأَنكَ قَصْفُ الرعد في الجبل العالي،

كأَنكَ لونٌ في الطبيعـــةِ آخَـــرٌ،
أو ِ آسْمٌ كطيرِ الرُّخِّ أَو شجرِ الضَّال.

---

* ليلة تذكر الرفاق عمر فاخوري.

لِخاطــــرةٍ أغريتَهـــا وحَبَسْتَهـــا
بلفـظٍ، بكـى غيــرانَ لؤلــؤُ لآَّلِ.

إذا القـولُ ما شَدَّ الربيــعَ، ولا شدا
على كلٍّ حرفٍ منه عُصفورُه الغالي،

ولَـم يَسترحْ فيـه الزمـانُ، وتشتــبكْ
نجومٌ بأزهارٍ، كما المِعصمُ الحالـي،

فلا كان !... إن القولَ ما آهَ من هوىً
وشعشعَ، قلتَ الأرضُ مُسَّتْ بزِلزالِ.

*

حَبِبتُكَ تُغنـي العَصر، تُطلِقُـهُ علـــى
الرِّيـاحِ، تُمَنِّيــهِ بإكثــارِ إقـــلالِ،

تُلقِّنُــه كيـــفَ افتتـــانُ أَصابـــعٍ
بمجدٍ، وكيف المَجدُ تَحطيمُ أَغلال.

فلا صَغُرَتْ أَرضٌ، ولا قَلَّ شعبُها،
ولكنهـا الدنيـا لِجَـوَّابِ آمـال !

لِمَـنْ بَرِمَتْ منـه يدانِ رماهمـا
بأَن تغدُوَا في السكب دفقـةَ شلاَّل !

فلا شيءَ ممـا طاب شيئـاً ولعبـةً
تشيـل الرُّبى، إلاَّ تأَتَّـى لشيَّـالِ !

*

كفى أَن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلَعُكَ السَّنى،
تُقصِّبُ: بانـي الضوءِ بانٍ لِأَجيـال.

*

ومَنْ ماردُ البـاب الـذي قلتَـهُ ازدهـى
وطُيِّبَ مَرصوداً كما الماءُ في الآل ؟

يقولونَـه حُلمـاً يُخَـيِّبُ ؟ ويحهـم !
أَما واهمٌ بالحُبِّ أَشرَفُ مِن سالِ ؟

مُقـــامُك في أَرجائهـــم كان هَتْفَـــةً
بموتـى، وكـان المستجيرَ بأَظـــلال:

تَخالُهُـمُ دنيـــاك، إِذْ هُمْ بَريقُهـــا...
وآلهـــةً، إِذْ همْ تماثيـــلُ صَلْصال...

*

سيَبقـى لك النَّسجُ الـذي أَنت ربُّـه،
ولِـلشمس نَسْجٌ كُلُّ ما دونَـهُ بال ِ.

غُبـارٌ على الثَّـوب الـذي أَنتَ خالـعٌ
لَمِنْـــهُ عروشُ الأَرض تُشرى بمِثقـــال.

وإِن أَنتَ، يومَ الرَّصْد، ما كنتَ مارداً
وبابـاً، فمـا خَزْنٌ ومـا فَضُّ أَقفـال ؟

*

سلامٌ على الغـزَّارةِ احمَـــرَّ وجهُهـــا
ولكـنْ كمـا الـوردُ الوديـــعُ بإدلال،

أَقولُ: آنزِلي، يا بعلبكُّ، آنزِلـي معـي
آلزمانَ خططناهُ كما الوردُ في البال !

ومنّا الـذي تاقَتْ الـى وجهـه العُلـى،
ومنّـا العُلـى فليمَّـحِ الطلَلُ البالـــي.

*

مِن الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقْعُ حوافرٍ
تطلَّعْ ! حِصانٌ راح يَغـوى بخيَّـال !!

نَهرُ الذَهَب

حلمتُ وكان الضُّحى لم يُفِقْ
بأَنَّ وسادَكِ زندي القِلق،

وفوقَ محيَّايَ، شَعْرُك نهرٌ
من الذهب المُندري المندفق،

أَهِي مرَّةً، ومراراً أُضيع
كما وردةٌ في العبير العَبِق.

هُويناكَ، يا حلمُ، هذا المساءَ،
ستقسو، وبعدَ غد، سترِق...

أنا مَرَّ أسبوعُ عمرٍ ولمّا
أَمُرَّ بدارتها أسترق

إلى حُسنها، قُلْتَني بُلْبُلَ الأَيك
شرَّدَهُ عندليبٌ نزق،

تَجيءُ الفَراشاتُ مُحلولياتٍ
الى حِيف شُبَّاكيَ المنغلق،

فأغمزهن: أَمِنْها ارتزقْتُنَّ ؟
بَشّرْنَني أنني مُرتزق...

فراشاتُ، أَيٌّ تَمُرُّ بِشَعْرٍ
وليست تَودُّ به تحترق ؟

أَنا ليتني كنتُ في السِّرب ! كنت
تأَنَّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أَنملي ذلكَ النحر،
كلّا ولا الناهِدَ المنطلق...

ولكنني كنت مُتُّ بعينين،
خَمْرُ السماءِ إذا يندلق...

كلامي على ربِّ الكلام

كلامي على ربِّ الكلام هَوىً صَعْبُ،
تهيَّبتُ ! إلاَّ أنَّني السيفُ لم يَنبُ.

ورُبَّ جمالٍ رُحتَ تَرسُمُ طيفَه
تصبَّاكَ كالسيفِ استجاب له الضرّب،

---

* في احتفال بعلبك بعاشوراء.

ومـا لُغـةُ الأَقلام من لُغـــة القنـــا ؟
اثنتان؟ سأَلتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيَطـــرَبُ لا إلاَّ لغــــزَّارةٍ جرت
كمـا الفَـرَسُ الدَّهمـاءُ طَيَّبهـا النـهب،

إذا صَهــلت غِبَّ التَّلاحُــم ردَّهـــا
أَخو مِرَّةٍ في الـدَّوِّ من وقْعِـه رُعْب،

يَذود عن الذِّمَّـــات ليس يُبيحهـــا،
بِه الشرْقُ مَدَّ الصوتَ فالتفت الغَرب.

*

حببتُ عليًّا مُذ حبــبتُ شمائلـــي،
لَهُ اللُّغتانِ: القـولُ يَشمَـخُ والـعَضْب،

بِهــذاك يُعليهـــا، بهـــذا يَزيدُهـــا
أَيكبـو ؟ ولكـنَّ الأَصائـلَ لا تكبـو !

لَأشرفُ مَن قاسى، وأَسمَحُ من سَخى،
تقول على رَمـلِ البـوادي له حَذْب.

بَلاغتُــــه الليـــلاءُ أُسُّ أَريكـــةٍ
فكيفَ بما أَبلى الذي وثبُـهُ الـوثب؟

*

وهَل، يا تُرى، هل قادِرٌ خَنْجَرٌ على
حبيبِ فِرِنْدٍ؟ بَكِّني وابكِ، يا حُبّ!

تَخيَّلتُهم، أَهــلَ النهـى من أُمَيَّـــةٍ،
ومَن إنْ عدوٌّ ضِيم واستُصرخوا هَبُّوا،

رَمَوا عند سَمع النعْي شَهْمَ سلاحهم
وقالوا: «لِهذا الشَّهْب نُكِّست الشُّهْب!»

*

تَخيلتُهم يومَ الغديـر وقــد سمـــا
سماوِيُّهم: «بَلِّغْ!»، فمُزِّقتِ الحُجْب،

فقال: « أَلا مَن كنتُ مَولاه فَلْيَكُنْ... »
وأَكملها. يا طيبَ ما اكتمل الدَّرْب !

وكـانت إِمامـاتٌ وكــانت مَطــارحٌ،
مَحَـطُّ نُزولِ اللهِ أَو يَقْـرُبُ القُرْب،

ففـي كُلِّ أَرضٍ بعـدُ بيتٌ مطـيَّبٌ
على اسمِ الأُولى في الكُتْب ليس لَهُم شَطْب

ومَـن لا يُحِبُّ البـيتَ، سيــفُ عليِّــه
جميـلٌ، وذاكَ النَّهْـجُ كوثَــرُهُ عَذْبُ ؟

كلامٌ كمــا الأَربــابُ في طَيلسانهـــا،
أَلا فَلْتَداوَلْــهُ وتَرتــعشِ الكُــتْبُ !

سائِليني

سائِلينــي حيــن عطَّــرتُ السَّلامْ:
كيـف غارَ الـوردُ واعتَـلَّ الخَـزامْ،

وأَنــا لو رُحتُ أستــرضي الشذا
لانثنــى لُبنــانُ عِطــراً، يا شآم!

ضِفَّتــاكِ ارتاحتــا في خاطِــري،
واحتمى طيرُكِ في الظَّــنِّ وحــام.

نَقْلَـــةٌ في الزَّهـــر أم عَنْدَلَـــةٌ
أنتِ في الصَّحْوِ وتصفيقُ يمـام؟

أنــا إن أودعْتُ شِعــري سكــرةً
كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام.

*

رُدَّ لي من صَبوتـــــي، يا بَرَدى،
ذكريـــاتٍ زُرنَ في لَيَّــا قَوام،

ليلــةَ ارتــاح لنـــا الحَـــوْرُ فلا
غُصُنٌ إلاَّ شَجٍ أو مُستهـــــام،

وتَهـــــاوى الضوءُ إلاَّ نَجمـــــةً
سَهِـــرَت تُطفِـــي أُوامـــاً بِأُوام،

سألتنـــــي مِن دلالٍ قُبلـــــةً
يُعصَرُ الدَّهـــرُ بِهـــا كأْسَ غَرام،

وارتَـــمت يَكْسِرُ مِن هُدْبٍ لهــــا
مُسهَبِ الطُّــولِ حيــاءٌ واحـــتشام،

وَجِــعَت صَفصافـــةٌ مِن حُسنهـــا
وعـرى أَغصانَهـــا الــخُضْرَ سَقــــام،

فحَسَرتُ الشَّعـــــر عَن جَبهتهــــا
أَسأَلُ الـحُسْنَ أَفـــي الأَرض أَقـــام ؟

وتَأَنَّـــــيتُ أُمَلِّـــــي خاطـــــري
قَبْـــل أَن يحجُبَهـــا ضَمُّ الهُيـــــام،

أَو لِخَـــوفٍ بي علــــــى ثانيَـــــةٍ
سَوف تمضي فمُنـى العُمـر حُطـــام،

لم تَدَعْ لي شقــوةً أَحيـــا بهــــا
ورَنَت يَمـــلأُ عينيهـــــا ابــــتسام،

أومأتْ لي... فامَّحى كُلُّ سنىً
مرهِقٍ، غيرَ فمٍ عذبِ المَلام،

وإذا قُبْلتُنا فرٌّ إلى
عالَمٍ أبهى وسُكْنى في مَنام.

تَقِفُ النَّجمةُ عن دورتها
عند ثغرَينِ ويَنهارُ الظلام.

*

طَوِّفي بي، ذِكرياتي، طَلْقَةً
واغنمي أطيابَ ذيَّاكَ الوِئام،

وآمْرَحي بينَ دمشقٍ وحِمى
تلكُمُ الصفحةِ مِن رِفعةِ هام،

خَطَّها صِيدٌ أُباةٌ غَصَبوا
حَقَّهم، والحَقُّ غَصْبٌ أو حِمام،

غالَبوا السَّيفَ عريقاً حَدُّهُ
فانثنى السيفُ وفي الحَدِّ احترام.

هذه « الغوطَةُ » أَوفى تُربةً
بهمُ أَم جبل « النَّبْكِ » القُدام ؟

كَم فتىً بات فراشاً سرجُهُ
نامَ والكَفُّ على سَيرِ اللِّجام !

وفتاةٍ خلعتْ أُسوارَها
تَشتري حَلْياً لها غيرَ كَهام[1] !

وشجاعٍ لم يَسَعْه عُمرُهُ
راحَ يحيا سَعَةَ الموتِ الزُّؤام !

---

١) من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أُسُدَ الثَّــــورة ! وُسَّدتُــــــم ثرىً
هو مِن مَشرِقِنــا الأَرضُ الحَـــرام،

طَيِّبَتـــــه من جَنــــوبٍ نَفحـــــةٌ
عَبــقَتْ مِن ضارِبٍ في الأُفْق، سام،

جَبَـــلٌ[1] يجمــــع في أَصلابـــــه
دَعــةَ السَّفــح الـــى عِزِّ السَّنـــام،

التُّرابـــاتُ به أَهْـــــلُ وفـــــاً
ومِـــحَكٌّ يَزِنُ الحُـــرَّ الهُمـــام،

ولــــه أَهلــــونَ إِن يَنْتَسبـــــوا
يَشمَـــخِ الرُّمْــحُ ويَعْتَــزَّ الـــحُسام.

١) جبل الدروز.

قُلْ لِذاكَ اللَّيثِ[1] في آجامِهِ:
واحِدٌ نحن إذا الشامُ تُضام،

سائِلِ الأَبطالَ: هل تُنسى لنا
رِفْقَةُ الأَخذ بأَغراضٍ جِسام؟

ولَظى الحِرمانِ مِن أَهلٍ ومِن
غَفوةٍ قَمراءَ في تلكَ الخيام؟

وٱلْتقاءُ الموتِ ضَنًّا بِعلًى
وأَحايينَ اشتياقاً لاقتحام؟

حُرُماتٌ بيننا أَنقى سنًى
من ذُرى الحَرْمونِ أَو طُهْرِ الغَمام،

(١) سلطان الاطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقينا بالدم المَجْدَ معاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرام،

وعَهِدْتُ السيفَ في سلطانه
ناصِعَ الإفرندِ لم يَذْمُمْهُ ذام،

شيمةَ الليث انثنى مُدَّخِراً
صولةَ الضاري ليومٍ ذي جَهام.

*

يا سفينَ المجدِ، ردّي ما انطوى
واقحمي الأمواجَ حين البحرُ طام.

يُسْلِسُ الدَّهرُ قِياداً للذي
يتحدّاه سهاماً بسهام.

جَدِّدي ما وسِعَ الهَدْمُ فما
بسوى الهَدْم لِبانينَ اعتصام،

وأُلَفي المَرَّ بسطحيِّ المُنى
ليس يُرضي النَّسْرَ ما يُرضي الهَوام،

العبودِيَّاتُ مثْنى عندنا:
في الحِمَى غازٍ وفي العقل قَتام،

تِلْكُمُ دالَت وهذي لم تَزَلْ
سُوسَةً تَبْري فَتَفْتَتُّ العِظام.

آهِ! مَن لي بغد أَدنى الى
سَلسَلِ الحُلْمِ وأَبهى من مرام؟

تطأُ الشامُ به مُختالَةً
ساحةَ المجهول أَو شأْوَ الأَمام،

الحضاراتُ هُنا منبِتُها
شُدَّتِ الدُّنيا الى هٰذي الأَكام.

*

ظَمِـــئَ الشرقُ، فيــا شامُ اسكُبـــي
واملأي الكـأْسَ له حتـى الجَمــام!

أهــلُكِ التاريـــخُ من فَضْلتهـــم،
ذكْرُهُـــم في عُرْوةِ الدَّهـــرِ وِسام.

أُمويُّـــون فإن ضِقْتِ بِهِـــم
أَلحَقُـــوا الدُّنيـــا ببستــــان هشام.

أَيُّ رأْيٍ[1] أَنتِ ما نشَّأْتِـــــــه
توأَمَ السَّيـــفِ لِفَصْلٍ واحتكـــام!

خلبَ الدُّنيا بمـــا افتَـــنَّ، اهتِفـــي:
كبُـــرَ المرمـــيُّ يومَ الحـــقُّ رام.

*

---

1) فارس الخوري.

تَمتــم المَجــدُ وناغــى حُلمَـــهُ
فوق كفَّــيكِ إذِ المجـــدُ غُلام،

وهـو حُلْــمٌ لو درَوا أيــن انتهـــى
لأتتكِ الأَرض حجًّــا لمقـــام.

يا طريقـــــاً من دمشقٍ لم يزلْ
لفتــةَ الدنيــا وإجــلالَ العِظــام،

بَيْــن تَخْمَــيكَ تَجلَّــى للنُّهــى
مَطْلِــعُ الحـــقِّ وتعليــمُ السلام،

فإذا جُدِّلَ عن مُهرتِــــــــــهِ
شاولٌ وانــكبَّ في ذاكَ الرَّغــام،

رُحْتَ تَلقــى مَصرَعَ العقـــل اذا
كانَ للعقــل معَ الحَــقِّ اصطــدام

*

شامُ، يا دارةَ نيسانَ، سَقَت
مرجَكِ الخيراتُ في الغيثِ السِّجام !

عِشتُ يَغنى بِكِ شوقي كلما
زُرتُ، والزَّورةُ شوقٌ مستدام،

فكأني شارِبٌ ليس يعي
خوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخرَ جام !

وتؤاسيني، إذا حَمَّلتِها
منكِ شيئاً، مَشرِقيَّاتُ النِّسام.

لكِ قال الحُسْنُ مذ هِمتِ به،
ذات صبحٍ، ونَضا عنه اللِّثام:

من أنا ؟ أُغنيَّةٌ لم تكتملْ،
رُصِدت... الا اذا كنتِ الخِتام،

وأقاحِـــيٌّ نَمَت في «دُمَّـــــرٍ»
أَوَّلَ الدَّهـــر ومـــاتت في الفِطـــام،

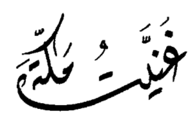
فإذا عادَت حيـــــاةً طَفِـــــقَت،
من حَنيـــنٍ، تَجِــدُ الدُّنيـــا شآم.

*

أنـــا لستُ الغَـــرِدَ الفَـــرْدَ، إذا
قال طابَ الجَرْحُ في شجو الحمـام.

أنـــا حَسبـــي أنَّنـــي مِن جَبَـــلٍ
هو بيـــــــن اللهِ والأرضِ كلام.

قِمَـــمٌ كالشمس في قِسْمَتِهـــــا
تَلِـــدُ النُّـــور وتُعْطيـــهِ الأنام.



غنّيتُ مكّـةَ أهلَها الصِّيـــدا،
والعيـدُ يمـلأُ أضلعي عيـــدا.

فَرِحوا، فلأْلأَ، تحت كلِّ سَماً،
بيتٌ على بيتِ الهُـدى زيـدا.

وعلى آسم ربِّ العالَميـنَ علا
بُنيانُهـــم كالشُّهبِ ممـــدوداً.

يا قارئَ القُرْآنِ صلِّ لهم،
أَهلي، هناكَ، وطيِّبِ البيدا.

*

مَن راكعٌ ويداهُ آنستا
أنْ ليس يبقى البابُ مرصوداً.

أَنا أَينَما صلَّى الأَنامُ رأَتْ
عيني السَّماءَ تفتَّحتْ جُودا.

لو رملةٌ هتفتْ بمبدِعِها
شَجْواً لكنتُ لشجوِها عُودا.

ضجَّ الحجيجُ هناكَ فاشتبِكي
بِفمي هُنا يا وُرْقُ تغريدا.

وأَعِزَّ، ربِّي، الناسَ كلَّهُمُ
بِيضاً فلا فرَّقْتَ أَو سودا:

لا قفــــرةٌ إلا وتُخصِبُهــــــا،
إلاَّ ويُعطى العِطرَ، لا عودا.

الأَرضُ، ربِّي، وردةٌ وُعِــدتْ
بكَ أَنتَ تقطِفُ، فاروِ موعودا.

وجمالُ وجهِكَ لا يزالُ رَجاً
يُرجى، وكُــلُّ سِواهُ مردوداً.



نَسَمَتْ من صَوب سوريَّا الجَنوبُ،
قلتُ: هلَّ المشتهى، وافى الحبيبُ،

أَشقرٌ، أَجملُ ما شعَّثت الشمسُ
أَو طيَّرتِ الريــحُ اللَّعـــوب،

شَعَـــرٌ أُغنيَّـــةٌ قلبـــي لَهُ،
وجبينٌ كالسَّنى عالٍ رحيب.

أنـا إن ساءَلتُ: أيُّ مضَّنـي ؟
قالَتِ القامَةُ: حُبِّيك عجيب !

مثلَما السهلُ حبيبي ينـدري...
مثلَمـا القِمَّـةُ يعلـو ويغـيب...

وبـــــه مِن بَرَدى تَدفاقُــــهُ،
ومِن الحَرْمونِ إشراقٌ وطيب.

ويحَـــهُ ذاتَ تلاقينـــا علـــى
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشيـــاءَ لا أعرِفُهـــا
كالعصافيـرِ تُنائـي وتَـــؤوب،

هو سَمّانــــي أنـــا أغنيَّـــةً
ليتَ يدري أنّه العودُ الطَّروب.

من بلادٍ سكـــرةٍ قال، لهـــا
تُرْبَـةٌ نايٌّ ونَهْـــرٌ عندلـــيب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

شامُ يا ذا السيفُ

شامُ، يا ذا السيفُ لم يَغِبِ،
يا كلامَ المجدِ في الكُتُبِ!

قبلَكِ التاريخُ في ظُلْمةٍ،
بعدكِ استولى على الشُّهُبِ.

سَكرةٌ يومُكِ، ما الكأْسُ
بالكأْس دُقَّتْ؟ ما ابنةُ العِنبِ؟

لي ربيــــعٌ فيكِ خبَّأتُـــــه
ملءَ دنيـــا قلبـــيَ التَّــــعِب،

يومَ عيناهـــــا بساطُ السمـــــا،
والرمـاحُ السُّودُ في الهُــــدُب،

تَلْتـوي خصراً فأُومـــي الـــى
نغمـةِ النـــاي: ألا انتحِبـــي!

أنـــــا في ظلِّكَ، يا هُدْبَهـــــا،
أحسبُ الأنجُـــمَ في لُعَبـــي.

*

طابتِ الذكـرى، فمَـن راجـعٌ
بي كما العودُ الـى الطَّـرَبِ؟

شامُ، أهلـــوكِ إذا هُمْ علـــى
نُوَبٍ قلبـــي علــــــى نُوَب،

أنـــا أَحبابـيَ شِعــري لَهُـــمْ
مثلمـا سيفـيِ وسيـــفُ أَبــي.

*

أَنـا صوتـــي منكَ، يا بردى،
مثلمـــا نبـــعُكَ مِن سُحُبـــي.

ثَلْـجُ حَرْمــونَ غذانـــا معـــاً،
شامخـاً كالعِـــزِّ في القُـــبب.

وحَّـــدَ الدنيـــا غداً جبـــــلٌ
لاعبٌ بالريـــحِ والحِـــقب !

مُرَّني

مُرَّ بي، يا واعِـــداً وعَـــدا،
مثلمـــا النسمـــــةُ من بَردى،

تحمِـــلُ العمـــرَ، تُبـــدِّدُه،
آهِ ما أُطيبَـــــــــهُ بَدَدَا !

رُبَّ أرضٍ من شذاً ونـــدىً
وجِراحـــاتٍ بقـــــلب عِدى

سكتتْ يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريخِ كان غَدا !

واعِدي، لا كنتَ من غضبٍ،
أعرِفُ الحبَّ سنىً وهُدى،

الهوى لَحْظُ شآميةٍ
رقَّ حتى قلتَه نفدا،

هكذا السيفُ ! أَلا انغمدت
ضربةٌ والسيفُ ما انغمدا.

واعِدي، الشمسُ لنا كُرَةٌ،
إنْ يدٌ تتعبْ فنادِ يدا...

أَنا حُبِّي دمعةٌ هجَرتْ
إنْ تَعُدْ لي أَشعلتْ بَردى...

مَن شَاعِرُ

لا مُذْ بكيتُكَ، لكِنْ قبلُ مُذ سكَتَتْ
يراعـةٌ لك، قَلَّ الهَـمُّ في الـــغُصُنِ،

غَصصتُ بالدَّمـع، هَل فرَّت بلابلُنـــا
طُرًّا، فما مِن شجِيٍّ بعدُ أو لَسِنِ ؟

* في ذكرى الاخطل الصغير.

أَنا الذي قال: يا شِعرُ، ابكِهِ وأَجِدْ
من قبلِ ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تَكُنِ !

*

مِنَ الينابيعِ، من عينَيَّ صوتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنفسج أُضلاعٌ له وحِنـي،

سِرُّ الرَّنين، وهل إِلأَّكَ يَفضَحُهُ ؟
يا ناقِرَ العود مِنه العودُ في شَجَنِ !

والكونُ قُلْهُ رنينَ الشِّعر، قُلْهُ صدىً
لِكَفِّ رَبِّكَ إذ طنَّت على الزمنِ.

ما العمرُ ؟ ما نحنُ ؟ ما هذي التي كتبتْ
قوسَ الغمام وغُنْجَ الزنبَقِ الغَرِنِ ؟

تَشظِّياتُ نجومٍ عن يدٍ فَجَرَتْ
حُبَيبةَ الشيء، وجهُ الله مِنه دُنِي.

فنحنُ هٰذون، لمَّا نبْقَ في سَفَـــرٍ،
علـى الرَّنيـن، نجومـاً رُحَّـلَ السُّفُـنِ.

*

حَبَبْتُ فيك البليـلَ الـبَثَّ لا يَبِساً،
لليل غنَّى وغَنَّوْا للضُّحـى الـخَشِنِ...

مَنْ لا يَضِجَّ، ويُبـْقِ الآهَ سيِّـدةً
على الكلام، يُؤاخِ الطَّيرَ في الفَنَنِ،

نَسْجُ التنَهُّـدِ، لكـن لا يُهَلْهِلُـهُ
سَهْلٌ، ففي خيطِهِ من شَمْخَةِ القُنَنِ،

ضَوءٌ خُصصتُ به، بَعْضُ الذي احتَفظت
ببعضِهِ الشمسُ إذ هَلَّت علـى عَدَنِ.

*

قرأْتُ شِعْـرَكَ، ما أُمـِّي تهدهدُنـي؟
تَحكي حكايةَ بِنتِ الريح والفَطِنِ...

أحبَّهـا لم تَزل في قلبـه خَبَـراً
ولم يَحِنْ آنُ عينيها... ولم تَحِنِ...

شقراءُ شقراءُ قلتَ الصخْرُ مسكِنُها
قد حَدَّثَتْهُ بها عصفورةُ الـوَسَنِ،

فهَبَّ، إغفـاءَةُ العينيـن تُسكـرُه،
يقول: لا تَقْوَ، يا حُلْمي، ولا تَهِنِ،

إبْقَ الذي أَنتَ ! لا أَبهى لِمبتهجٍ
من السعادةِ لم تَخشَنْ ولم تَلِنِ.

وقال: هَل هيَ ما قالت مُحدِّثتي،
وما تمايَلَ بين السِّرِّ والعلنِ ؟

خطوطُ قامتها في الكُتْبِ ما قُرِئَتْ
لكنها اشتَعلَتْ في بالِ مُفتَتِنِ.

فِي ظِلِّ مجدولتَيها العمرُ... في فَمِها
شَطرانِ للقَمرِ العالي على الدُّجَنِ.

سَجينَةُ الصخرِ، هل إلا غلائلُها
سِجْنُ الجمال؟... ألا، يا ريشتي، انسَجِني،

لعلَّ أَن تُلهميني كيفَ أُبلُغُها،
وكيفَ أَخطَفُها من قَبْضَةِ الحُسُنِ،

أَشُجُّ صَخْراً، أُري الازميلَ ما لُعَبي،
أُعيي الصُعوباتِ، أُغري عُقدَةَ السِّنَنِ،

حتَّى إذا التمعت غُراًّ ملامحُها
هَتَفْتُ أَجزَعُ: لا حُطِّمْتِ، يا وثني...

ما أَفتنَ الأَخذَ من شَدْقِ الرَّدى، ويدٌ
تَهُمُّ بالخَلْق، تَرمي الروحَ في البَدَنِ!

ولا علَيَّ أَقولُ... آشتَدَّ يا ظُفُري
حَطِّمْ وخُطَّ الغِوَى، صُنْها ولا تَصُنِ...

غامرتَ ؟ أَكمِل. لك الكاساتُ، أَطيبُها
ما قيل سُمًّا ولم تَحْفِلْ ولم تزِنِ.

وكان أَن نالها ذيّالِكَ الفَطِنُ
الكسَّارُ للجَلْمَدِ، اللَّعَّابُ بالسُّنَنِ !...

عروسُهُ هي وافَتْ أَم قصيدتُهُ ؟
فَدَيتُ أُمّي نَضَت سِتراً ولم تُبِنِ !

*

مَن شاعِرٌ ؟ مَن تَظَلُّ الريحُ دارَتَهُ
ترمي بأَبراجِها في الأُفْق لم تُشَنِ،

حجارُها شَرَفٌ ! فاسمَعْ تنفُّسَها
بالنُبْل، قلتَ: بِه قَبْلَ الجَمال عُني.

أَكيدةً مِن هنا، مِن مقلَعٍ وقَعَتْ
عليه ريَّا غصونِ الأَرزة اللُّدُنِ.

أَللّه نحن! أَما نحيا لأُغنيةٍ،
نَشوى بها لفتَةُ العُقبانِ في الوُكُنِ؟

إِن شدَّنا البحرُ لا ملآنَ بعدُ بنا
نُفْرِغْهُ منه أَنِ آسكُنْ أَو بنا آنسَكِنِ!

جِبالُنا هي نحن: الريحُ تضرِبها
نَقوى، وما يُعْطِ قصفُ الرعدِ نَخْتَزنِ،

عِشنا هنا لا نُهَمُّ، الفَقْرُ مرَّ بنا
ومرَّ مَنْ شِبْرُ أَرضٍ غَرَّهُ ففَني...

لِلفقر قلنا: استرحْ، للمستبدِّ: أَشِحْ،
غداً على الرمل لا يَبقى سِوى الدِّمَنِ،

ويأْخُذُ الرفشُ في جَمْعٍ... هنا خُوَذٌ...
هنا أساميُّ... فادْفِنْ، رفُشُ، واندفِنِ...

*

غَنَّين غنَّين، يا كاسات، قُلْنَ له:
ماتت لنا الخَمرُ والعنقودُ في حَزَنِ.

الحُبُّ خَمَّش خدًّا واشتكى وبكى،
واستوحَشَ القَمَرُ الراني فلم يَرِنِ.

تَمُرُّ بالأُذُنِ الآهاتُ تسألُها:
أنحنُ، من بعدِه، الآهاتَ للأُذُنِ؟

غنّينَ غنّينَ... قُلْنَ: المجدُ في يُتُم،
شِعْرٌ بلا المجدِ راياتٌ بلا وطنِ.

من لِلعُلى؟ لِلصدارات العُلى؟... أبداً
تبقى الكرامةُ بين الناسِ في غَبَنِ؟

غنِّيَ غنّين... صَوتي ضاع... باتَ صدىً...
كالحِصْنِ دُكَّ وظلَّت هيبةُ الحُصُنِ !

*

إنـي لأُجرَحُ، يا كاساتُ، يا دِيَمـي،
أن يَشمَتَ الموتُ بالباقين كالزَّيـنِ !

حقـاً سيغـدو كذُملــوجٍ بمِعصمهــا
حسناءُ لولاه لم تُشرِق ولـم تَكِن[1] ؟

عَتبتُ ، ربِّي، عليكَ !... الشِّعرُ سَيِّـدُهُ
مات ! آأمْرِ المـوتَ لا يَقْهَـرْ ولا يجن[2] !

أأبــى عليــه أنــا تُبلــي أصابِعُــهُ
مَن عن أصابعه السِّحْرُ انجنى فجُني.

---

١) يضرب.

غنِّيـنَ غنِّيـن... يا كاساتُ، يذبحُكُـنَّ
الشوقُ... غنِّين... إن الشَّوْقَ منه ضُنِي!

أَلُــوذُ بالقبــر ما أَدري أأَعْرِفُــه؟
أَمـا محَتْ نَقْشتَيْـهِ دَمْعَـةُ المُــزُنِ؟

أثـورُ! آخُـذُ بالصُّلبـانِ من غضبٍ،
أَرُدُّهــنَّ وأَغــوى أَسْيُفــاً وقُنــي...

يَمُرُّ في خاطري رَهْطُ الرجـال مَضَوْا
ومـا مَضوا تُرَّكـاً لي إرثَ مُؤتمِـنِ،

لِهٰهُنـالكَ هُمْ سَيْــفٌ، أَنـــا لِهُنـــا!
أَفي بِمجـدٍ وبـي صَرْحُ الوفـاءِ بُنـي.

«رُدِّي جمالَكِ»، يا دنيا، أَقـولُ مع
الأَبطال[1]، «غُرِّي سوايَ» اليومَ وآدَّهني!...

---

١) الكلام للامام علي.

هم يَدْنَقُــون، وهَمِّـــي النَّـــارُ أُشعِلُهــــا
مِنْ كِسْرِ عَظمي وإِن يَنْفَدْ فمِنْ كَفَني...

ما المالُ ؟... قولـةُ « لا »... واللهِ أَلْبَسُهُ
بِه غَنِـيتُ وغيـري بِالتُّـراب غَنــي.



قرأْتَ كتابَ الكـون سطـراً محـا سطـرا،
مُعَلِّـمُ، عُدْ فاكتُبْـــهُ أَجمــلَ ما يُقـــرا !

أَصابـعُكَ استـولت علـى العقـلِ فازدهـى
تُبـــاشِرُهُ نَثْـــراً فتتركُـــــه شِعـــرا...

وتلتَـفِتُ الدنيـــا وقـــد عُلِّـــقت علــــى
فمٍ لكَ قال السِّحـرَ أَو أَبطـل السِّحـــرا

لَأَنتَ بيــــال اللهِ كنتَ، بُعيدَمـــــــا
رمى الأَرضَ عن كفٍّ وقال: اشتهي أَمرا !

فحـــارَتْ: كأَنَّ الليـــلَ ليسَ يلُفُّهـــــا،
ولا يتغـــاوى الجهْـــلُ يَرمقهـــا شزْرا،

فقـال: آنطِقـي، إِمَّــا تَلعثــمتِ أُقلــقت
ببالـــي أَفازيـــرٌ وأَعمِـــدَةٌ سكـــــرى،

مِنَ الطُّرَفِ اللائـــي سأُخْلُـــقُ، يومتـــا
سأَرتـاح، والأَفكـار تَغمُرنـــي تَتْـــرى...

أَمرْتُكِ فُكّي عُقـدةَ الصمت وابسِمـي
لِوجهـي، لَقَفْـرٌ أَنتِ مُبتلِعٌ قفـرا !...

علـى أَنهـا الأَرضُ استمـرَّتْ عييَّـــةً،
فَمَـدَّ إِليهـا الخَـمْسَ يرسُمُهـا ثَغْـــرا،

ورأساً، وبعضاً من خَيال أميرةٍ،
لها يومَ عدِّ الحُسن يُؤبه أَو يُدرى،

فما هِيَ أَنْ ضاءَت وغنَّى جمالُها
لها وروى، حتَّى أَفاقَتْ كَمِنْ ذِكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيه قُلتَها
كما ستكون الكأسُ إذ تمتلي خمرا،

ولامس أُذنَ الله هاتِفُ قلْبها:
ـ بلى، ربِّ، هاني أَشتهي القَلَمَ الحرّا،

أَلا اخلُقْه، لا كالناس، هُمْ تُربَةٌ رِضىً
تفي، وهو غرَّاسٌ كما يَدُكَ الخَضرا،

عَلِيٌّ جبينٍ، حازِمُ اللمح، أَبلَجٌ،
يَمُرُّ به نَسْرٌ فيَعْرِفُهُ نَسرا.

تصوَّرتُهُ والرَّوضَ. ما بيـنَ زَهـرِهِ
وضِحْكَةِ عينٍ ؟ إنَّه الأَمَلُ افترَّا...

تصوَّرتُه والريحَ. ما بيـن عَصفهـا
وقَطْعٍ بمعنىً ؟ إنه سَلْكُكَ الدُّرَّا...

تصوَّرته والشمسَ. ما بيـن بَزْغِهـا
وهَشَّةِ وجهٍ ؟ إنهـا الصِّلَةُ الكُبرى.

*

مُعَلِّـمُ، لُمَّ الزقزقـاتِ وحُطَّهـا
على فمِ طفلٍ شِئْتَهُ النَّقْلَ والكَرَّا.

بِملْءِ جَناح لم يَطِرْ، إنمـا رنـا
إليكَ، فأَعدَدْتَ انطلاقتَـهُ الحَـرَّى،

وشِئْتَ له أَنْ يَستعيـرَ شموخَـه
من الأَرز غَنَّـاهُ الزمـانُ إذا مَرَّا،

وشِئتَ لَه أَن يَجْبَهَ السيـــفَ بالُـــهُ
فيـدركَ أَن البالَ يَفـري ولا يُفـرى.

*

مَن العلّمونا ؟ مَن يكونـــون عزمـــةً
وقرعاً لبابِ المستحيل خَفـى السِّرّا ؟

رياحٌ ! بلـى، هم كالريـاح مهابــــةً،
على أَوجُه الأَخّاذ قد حُفِـروا حفـرا،

وتُعطيك عيـــنٌ منهُـــمُ قلتَهـــا يداً،
وتُعطيك تُعطي بسمةٌ ما التَوتْ صَفْرا،

بِهـا مِن محيًّا الوالِـد الصَّعْبِ لَهْفَـةٌ
تُهيبُ أَنِ ٱقطِفْني ولا قطفَكَ الزَّهْرا !

ويُعطيك نُطْقٌ حامِلُ العِلْم ما انتهـى،
ومُبتـدِعُ الأَفكـار فجَّرهـــا غَمْـــرا...

وتعطيك، إن تُشْلَحْ على اللوحِ، أنملٌ
وتَكتبُ ما الدُّنيا... وتكتُبُ ما الأُخرى...

خواطرُ قُلْهُـــنَّ الـــخصورَ تَمايَـــلَتْ،
وقُلْهُـنَّ صار الـحُسنُ مُنْحَـبِساً قسرا.

*

سأَلتُ الأُولى خَلف القُرى، فَوقُ، علَّموا
تقيهـم نَداهـا، السنديانـــةُ، والحَـــرّا:

تُرى ثانويـــونَ الذيـــن احتضنتُـــمُ ؟
تعالَوا نَقُصَّ المجدَ، نستلفتِ الدهرا !

أَفِقْ من كَرىً، زينونَ صيدا، قُلِ اسمَه
مُتَلْمَذَكَ المُضْفِي على رومـةٍ قَدْرا !

هُمُ شيشرونٌ، عندهـم، ربُّ قولِهـــم
وعندك، طفلٌ يحفَـظُ اللفظـةَ البِكْـرا.

أَفِقْ من كرىً، لِيبانيوسُ، ارمِهم به
فمــاً ذهبيًّــا أَنتَ نشأْتَــهُ صَقْــرا،

فبـــــات إذا ما وَزَّعَ اللّهُ طاولتْ
تجوعُ إلى فيهِ العصافيرُ أَو تَعرى...

أَفِقْ من كرىً، مكسيمَ صورٍ، ورُدَّنا
إلى مركُريلِ السيفِ فتَّته فِكــرا،

فلم تبقَ أَرضٌ لم تَهِمْ بخواطــرٍ
له، قلتَها الإنجيلَ أَو شِعرَه نثرا...

أَفِقْ وآغوَ منها، أَنطباطِــرُ، هَتفــةً
لكاتونَ طارت فهي هتفتُنا الحَمرا:

« لَأَمَّا تَمُتْ حُرِّيَّتي لا أَعشْ أَنــا »
وفي الصدرِ شكُّ السيفَ شرَّفه صدرا.

*

معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نَمُرُّ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسمعُ مَنْ غنَّته: «طِبْ، يا حَمامُ، طب
وهوِّمْ لمن منهم سيجترعُ المُرَّا...»

هُمُ لهمُ، أواهِ! آنَّ يُذيبهم
ضنىً، وهْوَ آناتٌ لَتَهْدُرُهُ هدرا...

حَمامُ، هُمُ اكذُبْهُم، هو اصدُقْه، إنه
سيعرِفُ أن يشقى، سيعرِفُ أن يُغرى...

حَمامُ، وثلِّثْه له الدمعَ طيِّباً
كما ابنةُ كرمٍ في الجبالِ اكتوتْ جمرا،

فمَن غيرُه يدري بأنَّ حياتَه
ينابيعُ حِرْمانٍ ويقصدَها يَمْرا

فإمَّـــا قَسَتْ بالنـــاس داوَرَهـــا يداً
وإمَّـا بدت أُقسى به التـمسَ العُـذْرا.

ويا طيرُ، يا طيرَ الحَمامِ، افتتِن بهم
بَنِيَّ الرِّضى، أمّا به فافتِـنِ الـعَصْرا !

هل الـعصرُ إلاَّ ما استطـــارَ معلِّـــمٌ
من الشَّررِ النَّزَّالِ في الهِممِ النَّصْرا ؟

إذا القــــدَرُ الأَعمــــى تطـــاولَ ردَّه
ومِن خلفِهِ الـنَشْءُ الأَبيُّ مشى نهـرا !

وتـمضي تُغنِّي، ناسَ قِنديلُهـــا ولـــم
تزلْ تشتـري مجـداً وتـرفضُه خُسْرا،

تُغنِّي وقـد طارَ الحَمـام ولـم يعُـــدْ
لِقصَّتِهـــا إلاَّ تأَوُّهُهـــا جَهْـــرا.

أُغنيةَ الحُجر

كالهِند سرُّ الهندِ أَنتَ، وكالنُّهى
أَوَتنتهي ؟ وإليكَ كان المُنتهى !

ماذا ! وتَنهزِم السيوفُ كسيرةً
ما نحن، تسأَّلُ، ما الحَضيضُ مِن السُّهى؟

* في يوم نهرو.

أَدَّبتهـــا تلك السيـــوفَ، فصُنتَهـــا
عمـا تَبـــذَّل، يوم يَصطـــرعُ البَهـــا.

كالهِنـد أَنتَ ! لقـد جمعتَ كتابَهـا،
سِفْـراً سيُقـراُ لا آستُذِلَّ ولا صَهـــا[1] ،

عالٍ، ومِ الثلـــج البَتـــول بيـــاضُه
أَوْ مِ الحمالايـا وهاتـــيكَ الصُّهـــى[2] .

*

أَكملتَهـا النـفسَ الكبيـــرةَ[3] لم تَكُـــنْ
ظِلاًّ ولـو للشمس تَبـراً من كَهـــى[4] .

---

١) أصيب بجرح.
٢) الأبراج في أعالي الجبال.
٣) المهاتما.
٤) كلف.

أَوْدعتَ ما في كُلِّ بالٍ من هوىً
وبكـل ما يُرجـى، جُبلْتَ، ويُكْتَهـى[1].

وَحَدٌ كما رُئـيَ المَـلاكُ رُؤىً، ومِـن
طِيب البساطـة أَيـن سُلطـانُ الدَّهـا؟

*

ضُربت على الشُّعَـف[2] العمالـقُ حكمـةً
هامت، كما الدنيا، تسائِلُ مَن لهـا؟

بالرَّعـــد لاذت، بالريـــاح، وبالصِّبـــا
من أَدهُـــرٍ، وتشبَّـــثت بالمُزدهـــى،

حتـــى إذا بَصُرَتْ بصدرك أَفْيحـــاً
ولَجَتْـهُ فِردوساً لهـا... أَو شُبِّهـــا...

---

١) يجلّ.
٢) القمم.

أَفــأَنتَ من لُبنــانَ نسجُ غمامــةٍ
أَو صوتُهـا، تلك المكوكِبَـةُ اللَّها ؟

أَو سكــرةُ الازميــلِ نُزِّل مُفْــرَداً،
في بعلبكَّ، علـى يَدَيْ رَبٍّ سهـا ؟

أَنـا بعلبكٌّ لي... ولـي هندُ المــلَا
أُغرودتــا بالٍ إذا الوتــرُ اشتهــى:

أُغنيَّـةُ الحجر استفـاقَ الـى العلــى،
أُغنيَّــةُ الشَّعبِ استقــام فنُزِّهــا،

تلك السُّمُوُّ وهـذه الرِّفْــقُ اعتبِــرْ،
يا خاطـري، ورِدِ الجمــالَ تألَّهــا !

هَنَّـا خَصَرْنـا الصخَـر أَعمـدةً، علــى
إفريزهــا انتحــرَ الزمــانُ مُوَلَّهــا،

وهناكَ قدُّوا النفسَ كَوناً مُفعماً
باللهِ أروعَ ما أَباح وما نهى.

هَنَّا الضياءُ مجمَّداً ومُقدَّماً
للشمس إنْ شحّت، لِقلبكَ إنْ وهى،

يُعطي ويَرفَعُ، ما يدٌ إن قَلَّدَت
أُختاً لها؟ طابَ التَّفَرُّدُ مَجبَها!

ولَأَعْمُدٌ ينهضن، يحملن السما
بِدَعُ الجَهالةِ هُنَّ أو بِدَعُ النُّهى.

وجنونُ ربِّك فوقَ عَقْلِ عباده
إلاَّ الأُولى جَعلوا الحجارةَ نُبَّها...

وهناك أَجنحةُ السلام تَخُطُّها
في الأُفقِ أَقلامٌ تَرَفَّعُ عن جَها[1]

---

١) خراب.

مِن بعضِهــا كان البيــاضُ، وقبلُهــا
والبَعـدُ حاضرُها تَشعَّــعَ أَوجُهــا...

قالت صفـاءَ القـلب، وسوسةَ الحِلـى،
لحـظَ الأُميمـاتِ النواظِـرِ مِن رَهــا[1]،

وكأَنمــا الأَنهــارُ مِن بَشَرٍ ومِــن
صوتٍ ومن موتٍ... هي الزمن التهى !

*

أُغنيَّتــان ! الهنــدُ، سينــاءُ السلام،
وبعلبكُّ، لُقـى الجمـال مجهجِهــا !

هاتــيكَ قد خَسِرَتْ يديك، وهــذه
أَنَّـى لها إِلهــامُ أَعمــىً أَكمهــا ؟

---

1) سعة.

مَن قُلِّـــدَ البلـــدَ الكبيـــرَ كَراصِفِ
الحُسْنِ الكبير ! كلاهما لن يُكنهـا !

❋

يا هائمـاً خَلَـلَ الوجـود، أَلا اشتَعِـلْ
في المُعوزين كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحـدى تعـودُ الأُغنيـاتُ كمـا الهـوى
في القلب إنْ صَدْرٌ إلى صدرٍ شَها.

كالهِنـد سرُّ الهِنـــدِ أَنتَ، وكالنُّهـــى
أَوَتنتهـى ؟ وإلـــيكَ كان المنتهـــى !

مُلْكٌ لكَ العمرُ

ما الموتُ ؟ شمخةُ رأْسٍ منكَ تُفتقَدُ
واسلَمْ بباقة شِعرٍ، عِطْرُها الأَبدُ !

مَهابَــةُ الأَرز، بنتُ الفــارسيِّ، أَنــا
نَبكــيكَ، فلتتغــاوَ السِّتَّــةُ العُمُــدُ.

* انشدت في يومي خليل مطران ببعلبك.

ومَـن تُرى قال: ليستْ سَبعـةً ؟ أنـذا
عَينِـي إلـيكَ، ألا فلْيَكْمُـــلِ العَـــدد.

سِواكَ في الشِّعر فلتَدمَـعْ عليـه رُبـىً،
وأنت فَلتُجـرَحِ الغَيمـــاتُ والجَلـــد.

مُلْكٌ لك العصرُ، ذاكَ القَصْرُ تَرصُفُـه
ذكـراك. رُبَّـةَ أمسٍ ضَجَّ فيـــه غَدُ.

كأنني بِكَ، يوم انـزحتَ عن جبـلٍ،
تنزاحُ رَدَّتْكَ صوبَ الخالديـــن يد !

والخالـدون هُمُ البُـدَّاع، من بَعُـــدوا،
حتـى إذا لحِقت دنيـا بهـم بَعُـدوا.

عانيـتَ، عانيتهـا الجُلّـى، كمـــا لُعَبٌ
للـــكَسْر قد أمَّلوهـــا أنَّكَ الولَـــد.

وآنَ رُحْتَ تغنّيهـــا سَمـــوتَ بهـــا،
كَذا يَمَسُّ الخريـفَ الطائـــرُ الغَـــرِد.

لأَنت والفكـــرُ هَمُّ الله هَمُّكُمــــا،
والآخرونَ ببـــــال الله ما وردوا...

ماذا تَرَكْتَ خلا الأَخلاقَ ؟ لو جَدَثٌ
يَحكي لقال: « السنى في حُفرتي بَدَد ! »

ديوانَ شعرٍ، تُراها الحِكمَةُ انحـبست
في دَفَّتَينِ، كمـا في الغَيمـةِ البَـرَد ؟

هُنــــا الـــمساءُ ونيرونِيَّـــةٌ، وهنــــا
فَتاتُـهُ الجبـــلُ المحلـــولِكُ الحَـــرِد.

أُختُ التـي بالضنى والآهةِ اتشحت،
وأَسبـلت أشقـــراً بالريـــح ينعقـــد.

لَهْفي ! أبوها قضى، مَن كان يكفُلُها،
يُتْمُ الحرائـــر جُرحٌ ليس يَنضمِـــد !

لا هذه سَكـتَت، لا تِلكـمُ انغمـدت
إلاّ إذا مَن غَزَوا أَقداسَهـا انغمـــدوا.

ومـــرَّةً هٰهُنـــا الآبادُ عاصفـــةً
بالنـفس، قلتَ بسجـنٍ قُطِّـع الـزَّرد.

ومَن يَعِشْ فوقُ، عَيْشَ الصَّقْر، وُكْنَتُهُ
علـى الشّعافـاتِ، لا تَستغـوِهِ المُلُـــدُ.

القولُ لا قال... قال الفعْلُ. فاحتَرزي
يا قامةَ الرمح، أَنتِ الطَّعْنُ لا المَيَد.

غالَيتُ ؟... ما ريشةٌ في الكفّ مُشجِرَةٌ ؟
ما جلمـــدٌ جُبِّيرِيُّ السنـــــى فَرِد ؟

أَيٌّ أَداتُك ؟ لو خُيِّـــرتُ قلتُ: « به
كتبتَ، ذاك العمودُ الصامِدُ الصمـد،

غططتَــه فــي مِــدادٍ أَنْتَ عاصـــرُهُ
مِ الشمس أَو مِ الرياحِ الهِيفِ تَتَّقد ! »

مَن كان عُوفِيَ لو أَنتَ انضنيتَ ؟ أَلا
أَهِبْ بأَنَّـا قُدامى الفتــح والجُــدُد.

وُحِّدتُمـــا أَنتَ في الآساد باكيــــةً
وبعلـــبكٌّ... كلا فَنَّيكمــــا أَسَد !

تآخـذا، شطرُ بيتٍ وانهيـــارُ عُلـــىً
مِن باب باخُسَ كادَتْ بالرَّدى تَفِـد،

تقول: « مَن يَسْمُ بي، حتى لَيُرجِعُني
إِلـيَّ، يَشْهَـقْ له مِن ضَوئِـيَ الجَمَـد،

روحٌ له أَنـا ذي، ولـيشْقَ فَهْـو أَنـا،
وبعدُ فَلْيَفتَـرِقْ عن روحـه الـجسد ».

وقبـلَ أَن أُرجِـعَتْ، كانت يراعــتُك
افتنَّت تلاعبُ من عَلَّوا ومَن عَضَدوا.

وأَعنـقتْ لَفْظَـةٌ حتَّــى لمــاد لهـــا
مادٌ وقـال: « انزِلـي في النَّهـر نبتـرد

فان وقعتِ على زَنـدي وجِـعتُ أَنـا
للـحسن أَطلبـه في حَيثُمـــا أَجــــد!

أَكـــون عدتُ هبــاءَاتٍ فيخلُقنـــــي
خَلْقـاً، كأَنـــيَ ممـــا لا أَنـــا أَرِد.

أَبهى من البـدءِ رَدُّ البـدءِ ملعبــةً،
فالعَبْ بكونٍ ... ودَعْهُمْ يُفْنِهِمْ حَسَدُ... »

* * *

وعَنْـــدلت قافيــاتٌ منكَ، فانتبـــهت
حسناءُ نَقشُ عُلىً، في عُنْقِها صَّـيَـد.

ـــ أنتنَّ مَن ؟ قلن: « لا تَجَّاهَلي اذَّكري،
أَمـا لأَنكِ زلفـاءٌ لنــا سجـــدوا ؟ »

*

خليـلُ، خِلتُ العظيـمَ البعـدُ مُتَّكِـــئٌ
في مقلع العِزّ، مَن لم يَحِكـه أَحـد،

يقـول: « فوقِـيَ فَلْتُنـقَشْ، فلا حجـرٌ
سِوايَ أَخْلَقُ بالمجد الذي فقـدوا ! »

*

صديقَ لفتـةِ عُمْـرٍ، قد وعـدتُكَ، لا
أَخلفتُ، لا يُخلف الابطالُ إِن وعَدوا.

أَلمعتُ... فاعذِرْ ... فما إِلاّ على قلمي
اصطكَّتْ سيوفٌ ولا إِلاّ بيَ الحُشُدُ.

مُعلِّمــــي أَنتَ في الحُرِّيَّتيـــــن: هوًى
العُلى، وعَصْفــــيَ بالثُّـــوّار إن بَرُدوا،

هل كَذَّبوا ؟... قال لبنانٌ أَنا... وأَنـا
إمّـا وُجِـدتُ فبـــالأَحرارِ أَنوجـــــد !

دَاوِ شِعري

داوِ شعري اليومَ، ها شِعري كئيبُ،
غُصُنٌ شُرِّدَ عنـــــه العندلـــــيبُ.

في همومـــي كان أَن تُغـــــرَى به،
عُدْ يَعُـدْ للأَرَجِ الذاكـي هُبـــوبُ.

---

* صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكـنْ ريـحَ الشَّمـــال اقتَلـــعتْ،
لا الدُّجـى يلتـفُّ، لا الهـمَّ ينـــوبُ،

كنتَ ما لم يُدْرَ بالـحِسِّ وبالعقـلِ:
رُوحَ الـروحِ، تُحيـــي وتَـــذوبُ!

زُرتَها الأَرضَ؟... أَشكُّ... اختلْ معي
زُرْتَ بيتَ الشِّعر، كالبالِ الحبيبُ...

ما غروبُ الشمسِ يُعطـــي فكـــرةً
عنكَ، بل نكهـــــــةُ أَنْ ثمَّ غروبُ

في المَـــلاكِ اتَّفقـــوا أَنْ مفـــرَدٌ
شخصُه، لا مثلُهُ في الخمرِ كوبُ.

أَتُـــرى من سِربـــــه أَنتَ؟ أَجِبْ.
أَوْجَـعُ الأَجراحِ أَنْ لستَ تُجيـبُ!

كلُّ شيءٍ هو في الكـــــون، سوى
اللهِ، مَن ناجت ولـم تَدْرِ القلـوبُ !

هو في المابعــــد، في أُغنيَّـــــةٍ
ربَّمـــا تسكُنهـــا أَنتَ تَطـــيبُ.

أنـــا إن تجمَـــحْ بعـــودي نغمـــةٌ
كنتَ انتَ الأَمرَ بالعـــودِ تُهـــيبُ.

نِصفُ شِعـــري كان كي تقـــرأَه،
لا تُباعـدْ أَو هو القَفـــرُ الجـــديبُ.

أَمسِ ، مُذْ دُكَّت قرىً من أَرضنـــا،
زُرتَ بالـي موجَعـاً فيـــه اللهـــيبُ،

فاستبـــــــــدَّت بي ثوانٍ كُنَّ لي
دقَّ بابٍ، قُلتَني الخاطي يتـــوبُ !

ذاكـــرٌ ليلـــةَ نادينــــا علـــــى
رؤيتـي للكـون ِ والقـولُ صَخـوبُ ؟

رُحتَ تعلينـــــيَ، حتـــــى لَأنا
خمرةٌ ضجَّتْ بها الكأْسُ السَّكـوبُ،

وُجُهاتُ الحــقّ تهــوى لفتتـــي،
قُلتَ وجــهُ الله تهــواه الـــدروبُ!

ذاكــــرٌ قولَـــكَ بـــي منتصـــراً
لجُنـوبٍ أنَّـــه ثوبـــي الـــقشيبُ؟

أَلـــبَسُ العِـــزَّ إذا أَلـــــبَسُه
« آتِنا » منّـي كمـا منهـا الشحـوبُ،

كان هَمّــــــي نبشَ ما في أَرضه
مِن ذُرىً راحت عن ِ الله تنـــوبُ،

نقـرت صيـــدونُ من بعـــدي أنـــا
وتـــراً قيثـــارُه الكـــونُ المَهـــيبُ،

وتغـــاوت صـــورُ، لا مملكـــةٌ
بعـدُ أو قبـــلُ تُدانيـهـا تَلـــوبُ،

لا على السيفِ انبنتْ، لكنْ على
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كلِمْـةٌ تُعطَى تَفـي، صِرنا بهـا
شُركاءَ الأرضِ نَجْبي ونجوبُ !

وإذا مريـمُ قانـــا ارتـــعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألـحَّت نبـــرةٌ في صـوتـهـــا
بعضُهـا لُبنـانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعـــةُ، فِرِّي من غدٍ
هكـذا يُطَّـلَبُ الوجـهُ العَـــذوبُ[1]

يومَهـا، فوق ربـىً من عندنـــا،
ظَهَـــر الله ومـــا عادَ يغـــيبُ !

الجُنوبُ ؟... اشمَخْ به رأْساً رضىً،
كان لبنـانُ إذا كانَ الجُنـــوبُ.

كلُّ هذا قلتَـــــه فِيَّ أَنـــا ؟
كلُّ هذا أَنتَ إنْ حُقَّ النصيبُ.

ضِعتُ في نُبْـلك من تيـهٍ كمـا
في الـذي قبَّلَـهُ ضاعَ الضلـيبُ !

---

1) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إيْ وذكـراكَ، الكـلامُ اليـومَ: ما
تَبْغِـهِ يُبْـغَ وكالسيــفِ يطــيبُ.

شئتَني أَبقى الضميرَ، اشدُدْ يدي
أَو أُدمَّـى وتَهادانـي الخُـطــوبُ.

عِشتَ فُرقانَ الهدى، في حيثُما
كنتَ كان الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أَلصعوبــاتُ العُلــى أَنتَ لهــا،
تضرِبُ الضربةَ وُثقى لا تَخيبُ،

بالشَّبا تهجمُ؟ بالصرخــةِ؟ لا
إنمــا باللــيــنِ مرمــاهُ غريبُ.

مرَّةً تبسِمُ، تُغــري المعتدي ،
وتهـزُّ الـرأسَ، أُخرى، فتُــريبُ.

لائــذاً بالــحب تدري أنــه
وحدَه القوَّةُ إن صابَ المُصيبُ.

يا شقيقَ الدِّيَمِ انهالَت علــى
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبُ،

خارجَ المُمكنِ خُلْقاً ورضىً،
كنتَ، حتَّى لَيُمَنَّاكَ الوجوبُ.

لا من الأرضِ ولا من نَبْتِها
أنتَ. أنتَ المعتَلى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجتَ. قالــوا: رابَها
أنْ رأت مَن هو للبال ربيبُ،

أعِدِ الكَرَّةَ، زُرْها اليومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشِّعرَ أنا والعندليبُ.

عملاقُ مِصْر

شِعْرٌ ولا أَنتَ؟... في بُرْدي انضنى أَلَـمُ
عمـلاقَ مصـرَ، تطلَّـعْ، وانحنـى هـرمُ.

راثٍ أَنا اليومَ؟... دَعْني من رِثاً وبُكـاً،
نـارٌ ببالـــي وفـــاءٌ كـنتُ أَعتــــزمُ

* يوم احتفلت مصر بعزيز اباظه.

قالوكَ تُكمل خطًّا؟... ويحهم خطِلوا،
في غفلة الوحي، أَنت الطُّورُ والكَلِمُ.

أَالشِّعرُ بعدك صار الشِّعرَ، ردَّده
مَن رأْسُه فوقُ، مَن لم يُغْرِه غُنُمُ.

إِثنان أَهواهما: نُبلٌ بشِعرِكَ لم
يَتْعبْ، ولبنانُ منه تتعبُ الأُممُ.

سُكري بشوقي أَو آني غيرُ ذي شيمٍ
وقولُ شوقي بزحلَ(١) السُّكْرُ والشيمُ،

---

١) اشارة الى قول شوقي:

إنْ تُكْرِمي، يا زحلَ، شعري إنني
أنكرتُ كُلَّ قصيدةٍ إلاّكِ،
أنتِ الخيالُ بديعُه وغريبُه
الله صاغكِ والزمانُ رواك !

هُنا الهوى شَدَّ بين الأُمَّتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعرَكَ أَنتَ، الشِّعرُ يعبُدُه
معي، ونَغوى أَنا والليلُ والنُّجُمُ...

ما أَمَّروكَ ؟... إِخالُ التاجَ ضلَّلهم
وجاء جبهتَك الشمَّاءَ يستلمُ.

*

حُمِّلتُ غصناً من الأَرز، استظلَّ به
أَو رعمسيسُ أَو الوفَّادُ من عَظُموا

أَو مَن نماهم ثرى لُبنانَ، مبتَدِعُ
البُدَّاعِ : مَن نثروا الدنيا ومن نظَموا،

به أُلفُّ جبيناً لا الشموخُ حكى
أَغلى، ولا العودُ وفَّاهُ ولا النَّغمُ.

طَوَّقتَ جيدي بأَني « عَقـلُ أُمتنـا
يعُلُّ مِن سِحـريَ » الأَثبـاتُ والهُيُـمُ ؟

كلامُكَ السيفُ، ها بالسيـفِ تُرسِلُه،
والاصطكـاكُ سَكـوتٌ عنـده القلـمُ !

بديـعُ رَصْفك، فيـه أَنت: قامـتُكَ
الغيناءُ، صدرُك، صدقُ العزمة، الشَّممُ،

وفيـه من أُسرةٍ قُلتَ الرمـاحُ نَمَتْ
قوماً، وقـلتَ بِخَيْـلٍ طارتِ الهِمـمُ !

مصرٌ تنشِّئُ ما القوقـازُ أَنبتـه
منهـا الـحضارةُ، منـه النَّبْلـةُ الحَكَـمُ.

ما الشطرُ من بيتك الملآنِ غير صدىً
لكـرَّةٍ عبْرهـا الأَعداءُ تنهـزمُ،

حتـــى إذا ردَّ شطـــرٌ آخـــرٌ لمَـــعت
أهزوجـةُ النصـــر يَغـوى فوقهـا العَلَـمُ!

أمَّـــا القصيـــدةُ، مما رُحْتَ تَعْمُرُه،
فـالبرجُ مـاد كمـن بالأفـقِ يصطـدمُ،

يقـــول إنَّ ابتهـــالاً سِرُّ فتنتـــه
وإنَّ دقًّا على بابِ السما الحُكُمُ!

*

غنَّيتَ لُبنى، ألُبنى غيرُ مَن هجرتْ
لتسكـنَ الدمع في عينيك يَنسجمُ؟

لَنجمةُ الصبحِ ودَّت لو تكونُ لها
بديلـــةً، وعليهـــا الشِّعـــر ينهـــدمُ.

واريتَهـا لا بتُرْبٍ، بل بوردِ ضُحىً،
والــــحبُّ حبُّك وردٌ بالشذا بَرِمُ...

وفجَّر الدمعُ فيك النبعَ. مصرُ، رِدي
نِيلاً من الشِّعر، يا نيلاً هو الكَرَمُ.

بمصرَ حُبِّبتِ الدَنيا، فكيف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أَقولُ: كُتْبٌ الى نجمٍ تُشَدُّ فطِرْ،
حُدوثُ، والعبْ كما لم يلعبِ القِدَمُ.

*

عِملاقَ مصرَ، قوافيكَ الكِبارُ بنا،
بنبلها ما يزالُ الأَرزُ يتَّسمُ.

ومَن أَنا لأَردَّ اليومَ بَعضَ ندىً ؟
صُمٌّ قوافيَّ في رَدِّ الندى بُكُمُ.

إنْ شاعرٌ هامَ بالنيل انتشتْ قِممٌ،
في أَرضنا، أَو تصبَّى مادتِ القِممُ.

مِصرٌ هي المَجدُ، كان المجدُ مُذْ طَفَرَتْ
في البالِ، فالكون أُذْنٌ بعدَها وفمُ.

أُولو النُّهى الصِّيدُ[1] نادَتْهم هياكلُها،
وعِلمُها رَفَدَ الصِّيدَ الأُولى عِلموا.

غاوٍ بها شرفُ الانسانِ، ما خَذَلت
عصراً، وغاوٍ بها ذو الريشةِ العَرِمُ،

إنْ ضامها الضَّيمُ مَسَّ الخالقين دُنىً،
أو نالها الظُّلمُ راح الحقُّ يَظَّلِمُ.

لبنانُ نحن! وها نحن الشهودُ لها،
نَدينُ، يوم آنتصافٍ، ليس نَتَّهِمُ.

---

١) الفلاسفة الاغارقة.

الحبُّ نحن شرَعنا[1] ، الحُسنُ نحن بدَعنا،
البُغضُ نحن قطعنا أَنه العدمُ،

جبيلُ قالت بقاءَ النفس واكتشفتْ
ربًّا أَبى لقضاءِ السيف يُحتكمُ،

الليلُ لولا سُراها غربةٌ قتلتْ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَن وَهِمُوا .

بَلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العَظم يَنثلم،

في الريحِ ، في غَضَبات الغيظ، في غَدِنا،
في مبتغى ما ابتغى الأَبطالُ إنْ هجموا،

---

١) اشارة الى قول الاله إيل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعوا الأرض الصلحَ، ابذروا في التراب المحبةَ، وصبُّوا السلامَ في الأرض ».

ما لم نَزِنْ مِصرَ وزنَ الحقِّ يبقَ دمٌ
علـى الضميـرِ ويبقـى أَن يُراقَ دمُ!

*

أَطللتُ منكَ علـى التاريـخِ رنَّحنـي،
همى كما الضوءُ في بالي، كما الدِّيَمُ...

ويَعطَـرُ البـالُ إِنْ يَمْسَسْكَ، عِطْـرَ يَدٍ
مسَّت بنفسجـــةً أَنفاسُهــــا حُرُمُ.

لِمْ لا؟... وفي القَصص العالي الذي نَسجَتْ
غزَّارتـاكَ استجـدَّت سِحرَهـا النُّظُـــمُ.

غدا الهـوى بِدعـةً، مرًّا ببـــال هوىً
وسُكْرَ عقـلٍ علـَى القرطـاس يرتسمُ،

وآيـــةً طَرَفَتْ حتَّـــى ليرشُقُهــــا
غيَّـان أَنْ أَنـا ضِلِّيـلٌ ولـــي جُرُمُ...

بالكأْسِ أَفديكَ، بالدنيا، بساعةٍ،
بلوزِ نيسانَ للزَّيْنات يَبتسمُ،

بالشِّعرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أَشعلَني،
بحظٍّ عيني بعين الحقّ أَلتهم!

حتى إذا لاحَ لي أَني وَهَمْتُ؟ هَمَتْ
منّي الشجونُ كَمِن أفلاكِها السُّدُمُ!

رفيقَ شطرةِ عمرٍ، ذاكرٌ ولَهاً
بشِعرِ مَطرانَ والأَلبابُ تحتدمُ؟

أَسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟... دَعْ خُلُقي
لِلصمت، لا شَرَفٌ إلّاكَ، لا ذِمَمُ!

ما زلتُ منها كما بَوحُ النسيم لمن
من النُّسيمات تُشقي وهْيَ لا عَلَمُ:

ـــ مُرّي بدارتنا، يا طِفلَ، وانحَطِمي
على بساطٍ من النِّسرينِ يَنحطِمُ...

بِهُدبكِ الريحُ تنأى، أَنتِ مرتحِلٌ!
بقدِّكِ الشوكُ يَدْمى، أَنتِ منتقِمُ!!

إنْ كان بالهَزْجِ من صُبْحيكِ لا أَمَلٌ
فعِند خصرِكِ لِمْ لا يصدُقُ الحُلُمُ؟

حتّى إذا يندري شَعْرٌ وكنتِ غِوىً
تَمَلْمَلين، وآهَ القولُ والقَسَمُ،

تَهُمُّ شمسٌ بأَن تَغْشى فأَمنعُها:
ضِيعي معي، يا ضَياعي، وآحْلُ يا ندمُ...

وتسأَلين: لِمن سُهْدي، بمن وجَعي؟
يا قاطفَ الشمسِ، أَكمِلْ أَو أَنا الرِّمَمُ!

ونَنتهـي في قُبْلـةٍ ولِـهَتْ
وفـوقُ يغمـزُ فينا بُلبـل رُنُـمُ...

شيءٌ عنِ الشِّعـر هذا، آستلَّه كَلِـفٌ
بالشِّعر، أَم سُكْرُ صبٍّ ليس يحتشمُ ؟

فلْنبقِـه بيننـا سرَّ الكـؤوسِ، بهـا
يَمـرُّ هاوٍ فيـدري أَنَّـه الجَمَـمُ.

*

عمـلاقَ مصرَ، إذا أُعـوِزْتَ في خُلُـدٍ
فضُمَّ من خُلْدِنـا ما شاءَتِ الضُّمَمُ،

مِن زهر لُبنانَ خُذْ عرشاً ومن قيمٍ،
لا زهـرُ لبنـانَ منّـانٌ ولا القِيَـمُ.

فَلْيَروِ الزمانُ

على اسمكَ، بين الحَوْر أَغوى وأَهدُرُ،
أَنا النهرُ، شوقي، أَيُّنا اليومَ أَشعَرُ ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُ، ما بعدُ من صِباً،
هنا أَنتَ، فليروِ الزمانُ ويسكرُ !

---

* يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طرقتَ، لِمـامَ الطيـف، ذاتَ عشيـــةٍ
وكوكبَ من حَوْليكَ جِنٌّ وسُمَّـرُ...

هُمُ أسمعوكَ القولَ، زُلزلتَ من شجىً،
هُمُ سكبـوا، جُنَّتْ بكـأْسكَ أخمُـــرُ،

وحتى اذا غنَّى (شفيـقٌ) ورُنِّـحتْ
بلابـلُ واعلـــولتْ، لِمـــا قال، أنسُرُ،

وعرَّجَ صوبَ الكون (راجي) يزيدُه
صِبـــاً، وتغـــاوتْ حِكْمـــةٌ تتـــأزَّرَ،

ولاعب بعضاً من خواطرَ أَو منـــىً
بيانٌ لذاك (الشبـلِ) بالضوءِ يقطُرُ،

وكـــانت نسيمـــاتٌ لزحـــلَ عليلـــةٌ
تجِـي وتهِـي والليـلُ تعبـــانُ مقمـــرُ،

يسائلُ: هذا الكونُ أَكبـرُ أَمِ هُمُ،
نماهـمِ وِغنَّـى أَمْ نمَـوْه وخبَّـروا ؟

همـمتَ بنُطـقٍ... انمـا هِبتَ موقفاً
فقلتَ: لكـم يومٌ معـي طاب يُذكـرُ.

*

على سنتين الأَرضُ دارتْ... تطلَّعـي،
قصيدةَ شوقي، جاءَكِ السهلُ يُزهِـرُ...

تقوليـن ماذا ؟ أَننـا السيـفُ والنُهـى
لَهَونـا بأَكـوازِ النجـومِ نبعثـرُ ؟

وأَنْ جارةٌ طابتْ على الحبِّ فالتوت،
لهـا فوق زَنْـدٍ غَنجـةٌ وتكبُّـرُ ؟

قصيـدةُ، فُضِّي السِّرَّ: خصرُ حبيبـةٍ
هنـا أَم كلامٌ أَبجـديٌّ مخـدِّرُ ؟

أَنـا بعدمـا اعـذوذبتُ أَعبُـدُ شِعْـــرَهُ،
وقعتِ على زَنـدي وشَعـرُكِ أَشقـرُ...

هو افتَنَّ قصداً، قِال شَعْرُكِ مِن دجىً
يُستِّـرُ... والـعُشَّاقُ دومـــاً تستّـــرُ...

وقـد لا تكونيـن استجبتِ. رددتِـــه
كسيراً... فان يعـزِفْ فعـودٌ مجبَّـرُ...

تعالَيْ نُحِبُّ الحبَّ، جارةُ، لا انتهى
اليـــه زمــــــانٌ، لا براه تحسّرُ،

كما اسمانِ في بعضِ الحكايات علنقا
مَخِيلَـــةَ قُرَّاءٍ فجُنُّـــوا ودُمِّــــروا...

سِوانا بعصرِ الكرم يسكرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقطِفـيكِ سأعصِرُ...

أنـــا لي أفانيـــنٌ جديـــداتٌ لذةٍ
عليهـــنَّ كرُّ الثانيـــاتِ مسمَّـــرُ،

اذا همَّ آنٌ بالنفـــاد ثنيتُـــه،
تُرى الآن يُدرى لو أَنا لست أَنظُرُ ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكِ... لا جنت...
كفى أَنْ ستُستهوى... كفى أَنْ ستُهدَرُ...

لذائذُنـــا بالشوكِ أغـــرى تفتُّحـــاً
وأَوجـعُ من شمِّ العَـــرارِ وأَعطـــرُ،

وطـرفُكِ يَحْلَولي لي فيخلـــقُ جنـــةً،
ويقطِفُهـا طرفـي فهـــا هيَ أَكثـــرُ...

نميدُ ؟... دعينا... بل تميدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غِواهـنَّ الرُّبـى والتبختُـــرُ !...

تقوليـن لي: « أَهـواكَ ! » تفتـرُّ زهـرةٌ
ببالْ الصدى تحكي... وتبكي... وتسهَر...

وإنْ تسكُتي أَحـيَ التقـاءَةَ لفتـةٍ
بلفتةِ تلك العيـنِ تدعـو... فأُبحِـرُ...

الى أَينَ ؟... من يدري ؟... لَسِرُّكِ بعضُهُ
الدُّموعُ... وسِرّي أَنني لا أُخيَّـرُ !

وأَلمـعتُ أَنْ لو يلتقـي بفـمٍ فمٌ
فأَلمعتِ أَن لو لا يكونُ المقـدَّرُ.

وحاولتُ أَن أشفى. سوى أَنَّ عاصفاً
بصدري رماني حيثُ سحْرُكِ يسحَرُ.

وشدَّكِ صوبي من ذراعـي تولُّـهٌ،
وأَنك طوقُ المستحيـلِ وأَكسِرُ !

*

بعيـدٌ قريبٌ... عهـدُ زحلـةَ بالـــذي
رماها ببالِ النـاسِ حسنـاءَ تطفِرُ...

وآنا هي الشِّعرُ الوحيـدُ، أما انتهـى
الـى قولـةٍ فيهـا تعـيشُ وتخطُـرُ ؟

عروسيَ، حبّـي ما بدعتُ. لمنكِـرٌ
أنا كلُّ شِعري، غيرَ ما عنكِ أَسطُرُ !

بقلبيَ، شوقي، أنتَ ! بالنهـر، بالنـدى
بكـل شذا وردٍ كمـا الخُلْـقُ يُنشَرُ !

تفينـا الوفـا هذا لأنّا علــى الهــوى
هزنزناكَ، يوماً ؟ ما الهوى ؟ النُّبلُ أَكبرُ ؟

لَمِنْ أَجلها ها أَنتَ، ما الصبحُ، ما المسا؟
علـى ضِفَّـةِ النَّهْـر، الأَميـرُ المؤمَّـرُ

ولكـنَّ منَّـا من بكـى. هل سمعتَـــهُ
يسائـلُ، والـتسآلُ كالبـــوحِ يؤثَـــرُ:

ــ حديداً رَجَعتَ اليوم ؟! ويحَ مسافرٍ
كمـا مرمـرٌ هَنَّـــا، وهَنَّـــا تمرمُـــرُ،

وما همَّ... كنتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقـرأُ آهـــاً، طابَ يَشدو ويَـــزأرُ...

يخالـونك الوَقّـافَ: أَحـداثُ عصرهـم
لوتك، كما الأَطلالُ والرَّكبُ يهجُـرُ،

يضِلّون ! لا إِلّا الجمـــالُ عبدتَـــه،
كبـعضِ الدُّمـى أَحداثُهـم بك تعبُـرُ.

همومُهمُ الناسُ: الغنى، السكرةُ، العُلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَبْهَرُ...

تَوافهُ ؟ ما كانوا، ظروفاً تجِذْتَها،
كشمسٍ تدوسُ الليلَ تقهَرُ تقهَرُ ...

همُ مفرداتُ المُعْجَمِ السُّودُ سلَّها
لَيرصُفُها كالنارِ غاوٍ مغيِّرُ،

فتسمعُ دنيا ما يقولُ وما يرى،
وتقلقُ بنتُ الغيب نهداً وتظهرُ !

وما الشعرُ ؟ بعضُ الغيبِ غنَّى كطائرٍ
وبعضُ نُهىً إن رَدَّ رَدَّ يُحيِّرُ.

ويا رُبَّ حرفٍ أَشعلَ الشطرَ كلَّه،
وشعبِ خرابٍ سوف تبنيهِ أَشطُرُ !

أختُ الكتاب

تمنَّعتِ في قلب الشِمالِ كما الحِصنُ
لكِ السَهْمُ يا اختَ الكتاب، لكِ الرَنُّ

عليك تُخَطّ الشمسُ صعباً جمالُها
وآنا تُخَطّ الريح عاصفُها لَدن

فَيسمعُك الحكَّام، يَخفُت صوتُهم،
كأن قُلّموا ظِفرا، كأن مَسَّهم وهن

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

ويُشرِق بعضُ النور من صوب اهدنٍ
لأن اسوداً أُشعِرت أن طما الغبن

ويا نُقطةً م الأرض شُدّت الى العُلى
رجالُكِ الّا بالرجولة لم يَبنوا

صحيفتُنا أم سيفنا ؟ أيّ فارق ؟...
هنا شَمَختْ رأسٌ، هنا شمخ الفن

شُغِفْتُ أنا بالعنفوان، خبِرتُه
صنوفاً، وآخاني كما الغيمةَ المُزن

ولكنَني للعنفوان بمرقَم
تمايلتُ قلتِ الطير مال به الغصن

أسائلني: بالورد، بالشعر، بالسنى،
أنا جئت، أم بالليل أطرحُه يرنو

الى قلم لبنانُ أحلام بالـه
وأرزتُـه ما مُكـتساهُ ومـا الرَدنُ

أنا قلمي — أفديه ! — طفل ازاءه
له الزأر إن نغضب معاً، ولِيَ الأنُّ

يصول يجول، النارُ بعض صريره،
به الأنسُ من غاب الشِمال أو الجن،

وعلَّم أذني كيف تُنقر نبلةٌ
كعود، وعيني كيفَ يبتسم الطعن

لَرائعةٌ شكَّاته يوم هجمة
وصافية آراؤه والملا جُنُّوا

يقول: هنا هادن، هناك أضربِ الخنى،
هنالك خلّ المستبدَّ له عَنّ

وكابِرْ على جرحٍ وقل: لَمَ أُصَبْ أنا
ودع قيحةَ الحُكّامِ يُسكرها الأحن[1]

وأجملُها الهمَّات أن غريمها
يميع على الجُلّى كمن هدّه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهِم به،
هو الراهنُ الغلّاب والآخر الظنّ...

وما ضرّ أن رَدّوا عليك بمثلها
وحطَّم منك الضَغثُ[2] ما حطَّم الضغنُ![3]...

ستكبُر ان تُهزم لأنك في غد
سترجع رُجعى السيف طيِّبةُ السنّ

بلى هكذا رحنا معاً نبتني العلى
سخاءً بلهو، وحدَه اللهوُ لا مَنُّ

١) إضمار العداوة
٢) الخلط
٣) الحقد

مُنانا رضى لبنان، وجْهُ خلوده،
نضيع به كالشمس ضاع بها الدَجن[1]

وما همّ أن مُتنا ولم نبلغِ المنى
كفى أن مشينا لا التواءَ ولا هَدْن

غداً، في خُطانا، يجبَه الصعبَ نفسَه
بنونٌ همُ الاسياف مِقبضُها نحن

اليكِ، أيا أخت الكتاب، مكارمٌ
تَحُجّ، تقول: الكأسُ هَمِّيَ لا الدَّنُّ

هل الخمر بالحجم ؟... اكشِفي عنك: آتنا
كما صورُ، قلّ الجِسم واكثوثر الذهن

بأسطرك اللا بالألوف حميته
الشِمال، جِبالاً مِن جنىً حُوِّل الحَزْن

---

١) الليل

فلا مجدَ مِن أرث الجدود اغتفلتِهِ
وَلَا غـدَ عـزٍّ هِبتِـه وهـوَ مُكتـنٌ[1]

جميعاً جمالُ الـروح أنتِ له صدىً
جميعـاً بهـاءُ الله أنتِ له سَدْن

بنفسجـةَ الأقـلام، يومُك، أُمَّـةٌ
بهِ افتُتنت والعمر أُجْمَلُهُ فَتـنْ

لَيُطرِب بالـي حملُ قِيثارتـي هنـا
ولا طرَبَ الأوتـار طار بهـا اللحـن

وشِعـري الـذي غنَاك طيَّبتِ بثَّـه
كمـا دقَّـةُ المِهبـاج طيَّبهـا البُـنّ

---

١) مُخبَّأ

رصّعت بالي

رصّعتَ بالـي وعُمـري ازهــرٌ نضُرُ
كمـا يُرصّع ليـلَ العـاشق القمــرُ

ودارت الأرض، لُقيـانـا عـلـى وَرق
لقيـا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صُوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُوَر

* في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشِعر.

ابقى من الحب وُدٌّ اين عارفُه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهرُه العَطر ؟

إن شاعرانِ، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتْهما في القبة الـدرر

وفتّحا الورد من روض ومن ريَش
وفتّتا المِسك حتى لهْوَ منهمر

ورقّصاالجنَ والاحلامَ وانتهرا
بَوّابةَ الليل أنْ فلتُهتكِ السُتُر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شممٌ ؟
ما الشمس تقطفها كَفٌّ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطّا... وما نَسِيا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِب، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطَت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصَر؟

حقاً ستَنقل كُتْبُ اننا خبر
كالغيب يُسأل دوماً فيه: ما الخبر ؟

ومرتين، عطيّاتُ الزمان هما،
يشاؤنا نَلتقي لا يَبخل العمُر

على ربى كرمة او ضِفَّتي نهَرٍ
له الهدير الذي ما زال يُبتكَر

اقول: خَلّكَ في لبنان، مرتعُها
تلك الطفولةُ نادى والمُنى كُثُر

يُحِبّنا النهرُ، يَروي ان منبتَنا
في حيثما نبتَ الشجعان والشجر

وأنَّ زحْلَ سماءٌ بعضُ انجمها
الشعرُ، الندى، الزنبقاتُ، النخوة، الكِبَر

لها الفتوحات حيث الوُلْدُ قد ملكوا
لكنما العرش حيث الأمّ تنتَظر

تحتجُّ انت بفِلذات لهم وطن
هناك، يا جُرْحَ بيتٍ اهله انشطروا

الا انفُضِ اليوم عنك القبرَ مدَّرعاً
مهابةَ الصقر عيناهُ هوىً شَزر

مجلجلاً: أنا كلٌّ لا أشرذمُني
على الدخيل انتصرْتُ؟ الكلُّ منتصَر

وواحدٌ مجدُ لبنان الذي أخذَتْ
عنه الحضارةُ ما لولاه ولا حضَر

جبيلُ بيروتُ صيدونٌ طرابلسٌ
إطارها البَــدْءُ او لا كانت الأُطُرُ

ان مُسَّ ذِكرٌ لِقانا اوْ لِصورَ سنىً
مُسَّ الكمـالُ، رؤى التاريخ والعِبـر

اوْ خُمّشت لَمعةٌ مِن بَعلــبكَ اسىً
توجَّعتْ مُهجَاتُ الــحُسن تنفطــر

اْقسِّمُ البيتَ ؟! ماذا ! الأنتصارُ سُدىً !؟
ماذا ! دماء رفاقي في الفلا هدَر !؟

لِبعض لبنانَ قاتلْتُ ؟! اشهَدي، شيَمي،
كما السواحلُ هاتيك الربى الخضُر

شمالُهُن، الجنوب، القلب تلك سما
بالـي، لَتبقى ويبقى الرمْل والنَهَــر

ووحدَهُمْ اهلّها اغلى على كبدي
منها، كعينيَّ اغلى منهما البصر

جميعُنا لفحَتْنا الحرب: ذاك بما
قاسى، وهذا بقصْدِ الموت يبتدر

ولن افرّقَ، ناسي الناس لا بعُدوا
كذا الينابيعُ، مائي الماءُ لا الكَدر

ولستُ اخسر نصراً هزّ اعمدةً،
لبنانُ منشطرٌ ؟ لبنانُ مندحر !

تراجعٌ نحن ؟ سُكنى في الخباء ؟ أشِحْ
جمالهُ السيف ان السيف ينشهر

بلى جراحُكَ مِن بَحر تَوزّعنا
هَنّا وهَنّا صغارٌ عندها الحُفر !

اسكنْتَها بعضَ قصدان كما غُصصٌ
للناي اوجعُ منهـا النـاسُ ان غَدروا

إفتِـنْ بشعـركَ لكـــن قلْ تحطّمَـــه
ممـن غوَوا وبذِمـات العلـى كفـروا

لوَحدَه في العداوات الدخيـلُ، جرى
ببالـه غَصْبُ ارض تُرْبُهـــا الطهُـــر

وان نكن لِربىً خضرٍ شمخْنَ هوىً
شطٍ وقمّـاتِ صخـرٍ ليس تنـــكسر

معانـادتٍ، لهـــا في اللّه، والتفـــتت
دوماً الى اللّه، قل هل بعدَها خُسرُ ؟

بلـى سنبقـى ويبقـى فوق صخرتـــه
لبنـان قهّـارَ مَن ما غيرُهـم قُهـــروا

وقال مِن خطر نمضي الى خطر ؟
ما همّ ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطر

يا شاعرَ الحكمةِ اعلولتْ كما شرفٌ
هَيمى بما لا حَكى الإغريق لا سَطروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويكَ ! أجبْ
أأنتَ ربٌّ لِيغشى قفْرَك الزهَر ؟

تلك الأساطيرُ شُكْرُ البال، واحدةٌ
منها مرورُكَ في الدنيا كما الشرر

تكون كانت، وشقّت عبقرٌ غدَها،
لو لم تَعَرَّ لعِملاق وتأتزر ؟

حقائقٌ ام خيالاتٌ ملأتَ بها
كأسَ الوجود فدارتْ والملا سكِروا

قلتَ الجراحَ زهورَ الحبّ، قلتَ ندىً
هَمَّ الندى، قلتَ ما السُهّارُ إن سهروا

غَوَوْا عذارى وزَيْنـاتٍ خواطـرَ، ضِعْ
ما بين بين يَجذْكَ الصحبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق ؟! ضللتَ منى،
يشقى بها الليـل تلك الخـرَّدُ الفكـر

وقلتَ كيف الهوى الباقي ولو جُرُحاً
اشهى مِن العمر جرّاحا به الضجر !

وقلتَ ما الحـربُ الا القـوةُ أفتُتِنتْ
بنفسهـا، وزهـــورُ الشر لا ثمـــرُ

وان حرّيـةً فـــوق الجَمـــال هي
الاحـرار، لا الكلماتُ الخُلّبُ الغُرَر

وأن مَن عَمَد العَليا باعمدة
كبعلبكَّ أَطاعتهُ العُلى الأُخر

حنتْ عليه السما، أَغفتْ على يده،
كما تغافى على اجفانِه النظر

وقُلتَ ما قاله للشمس عابدُها:
اغدو انا انتِ او لا يُبلَغ الوطر

ماذا ! شردْتُ انا ؟ حمّلتُ خمرك ما
اهوى ؟ لها الكأسُ اما طيّبت عُذُر

جُزْ جُزْ معي صوب اخت الحسن، ربّتِه،
في كل بال أناهيدٌ لها اثر

عرفتُهما انا مَنْ، والحسنُ اعرفهُ
براه ربٌ ولكن كمَّلَ البشر

نقلتَهـــــا عن هواك، اللهَ في يدهِ
شاركتَ !ها بِكَ أنتَ الحُسنُ يأتمر !

أعزُفْ وريشتكَ الهُدبانِ ، ضِع وأضِعْ ؟
وعبْرَ هُدبَينِ كم يَعذوذبُ السفر !

يا وردةَ الورد، خُطّي فوق ناسمةٍ
أنْ زرْتِها الارض فاحلولت لها ذِكَرٌ

عينانِ لا الليلُ مرمِيًّا بغيرهمـــا
ليلٌ ولا الضوءُ الا منهما خـدِر

ومُعنِقٌ لم يزلْ يعلو كأنْ سحَر
يقول ازميلُه: لا ينتهي السَحَرُ...

وقامةٌ شكُّهـا شكُ الجريـد بدتْ
لِقاهرين بَهَوا بالحرب ما انبهروا

بلى، التقاءُ التي صُبَّتْ ،كما حلُمٌ
في بال شاعرهــا، قهــرٌ ومقتــدَر

لأمةٍ صانهــا عن ذلّــة قلــمٌ
لا السيفُ اجملُ ان يُسعِفْ ولا القدر

لِمَ انتصرنا ؟ أَمتْنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّعَ منها النابُ والظُفُر ؟

لأنَنا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلى، المنتهى، العِرضَ الذي يفِر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجبُن — قوافٍ بهِنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهْي الحربُ، ما وفدتْ،
نكَّستُها الأسْيُف، اعبُرْ رأسَ مَن عبروا

الى الخلود الى حبّي، الى ملأ
أعلى، جِثيٌّ له التيجانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورَفَت،
على اسم سِدْرتنا، تعلو وتنتشر !

آتٍ مَعِي زهرُ لبنانا

ذكراكَ في البال ما ذكراك؟.. قل ضُرِبا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحُبا

ولـو لِريشـة عصـرٍ أَن تظلّلـه
لكـنتَ كالليـل لفَّ المنتهـى بإِبـا

والليـل وحـدَكَ تدري أيـن مَنبَعُـه
وكيـف كان وكـان اللهُ ما وهبـا

---

* في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

ِمن قبل ما الأزلُ ابدوْدَى رمى يدَه
على الذي سوف يغدو الكونَ واجتذبا

كذاك أنت، رمتْ عينــاك ليلَهمـــا
ثِقلاً على الشرق، ردَّ الشرقَ ملتهبا !

لا، لم تَقلها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعـاً تصبَّى الجفـن والهُدُبــا

بات الـذي يقـرأ « الايـام » مختليـاً
بالحسن والحسن يُنبي يومَ ليس نبـا

*

بعـد الكتـاب الشجيِّ استُـنَّ مُنتهَـج
أَنْ يصدق القلم، أزهوهى ام انتحبـا

تعلَّـم الجيـل من طـفـل تـمُـرُّ بـه
أزاهر فـتـرى في وجـهــه العـطَبـا

فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذِبا

يمضي اليها يغنيها يحبِّبها
به: « يا أزاهيرُ، انتشي طربا

أنا الطبيعةُ لم تُغدق عليّ فلِمْ
أرُدُّ بالمثل ؟... هاني الكأسَ والحَببا

الا اشربي، يا أزاهير، اشربي: لَيدي
تسخى كما النيل ان واثبتهِ وثبا ».

تعلَّم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !

*

مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِمْ
بنيتَ مصرك واستنبتَّها القِّببا

كمـا صرعتَ، رفـعتَ: الريـحُ آيتُهـا
أنذ الغِـوى هيَ، لا ثوبٌ ولا قَشُبـا

واليومَ في ظل ما أطلـعتَ من فِكَـرٍ
يُنامُ تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرةً تفترُّ قلتَ « نفرتيتي »
تعــود علــى لِعْبــاتِ من لَعِبــا

ذاك الذي حطَّ في الصُلْب الجمال اذ
اعلولـى، وسمَّرهـا الأغنيَّــةَ الذَهبــا

مُخِّلِيـاً لشروق الشمس غصَّ شجاً
وباعثـاً حَسداً في النـاي إن عذُبــا

ومَسحــةً لا تنِــي سِراً ومفتَتَنــــا
بأن يُرى أرَبـاً ما لم يكُـــن أربــا

وشائلٌ بغِواهـا وهْـمُ ان لـهـا
مثلَ الجناحين رفًّا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صِباً
بفنّ مصر تغاوى في الحديـد صِبـا

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مُنىً،
وللأولـى ارتحـن لاستغبائهـن غَبـا

لا الحسُن، بل حُلْمُ أَن الحسنَ طوعُ يدٍ
كأنمـا الله ممـا نَفهَـمُ اقتـربـا

ذاك الـذي تَرك التِمثـال متعبـةً
للنـاس قالـوا انتهـى يومَ انتهـى تعبـا

إزميلـهُ أنت أم لِمْساتُ إصبَعِـه ؟
سَلْ وجْهَ مصر وما أَعطى وما خَلَبا

*

ومصرِ ثِنتان: ما احييتَ انت ومنا
أَلهَمْتَ. هذي وتلك الفكرُ منتسِبا

الله ؟ أيَّ هُدىً كانت هياكلُها ؟
وَمن تَعاجب لو لم تُعْطِهِ العجبا

نادت بُناةَ اثينا ـمن غد، ورمت
في قلبهم شُعلةً تستوقف الحِقبا

واستعجلتهم، فبرّوا امَّهم كرَما
فكوّا الظلامَ وقالوا القولةَ السببا

ومِصرِ مَنْ علَّمت ! لا البَدْعُ تكتُمه
عنهم، ولا خاطراتٌ كالسُيوف شَبا.

كأنها أنت، طلقٌ بالُها بندىً
كأنها أنت، زهرٌ مرجُها بِرُبى

واليومَ مِصرُكَ، مَن اطلقتَ، مصرُ مشت.
فاقرأْك شعبَ هُدىً واقرأك شعب ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخًا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك أبا.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم !الا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعِدِ الريبا

انت الحقيقة ! طِرْ بالخاملين، أفِضْ
فيهم عتُوَّك، ضِيءْ كالنور منسكبا،

سَيرَ الزمان الا سرِّعْ، هنا كسِلٌ
شروقُها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.

*

آتٍ معي زهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تَنزِل العَصَبا

ليست من النار لكن مِن ارادتها
تُعطي الهنيهاتِ نبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزِل بقلبي، بِهَمٍّ الأرز يومَ اسىً،
بالشيح بالريح، بالهبّات غِبَّ صَبا

إنزِل بما ضَجَّ في لبنان من ولهٍ،
بالكِبْر لم ينجرح، بالورد ما انتُهبا

بماردينَ أبَوا الا الحياةَ عُلىً،
بمُمْسكين بقرن الدهر مُطَّلبَا،

بِحبّهم، بضروبِ العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم آنتَ هَبا

تكنْ نَزَلت ببعضَ الصخر مِن جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا

*

هتفتُ باسمِك، ما لقَّبتُ، لي عُذري.
مَنــذا يُلَقِّبهــا الَّا بهــا الشُهُبــا ؟

طهَ حسيـن ويكفـي ! ذاكَ منتهَجـي
أنا كما السيفُ طَلْقًا أنـزِل الكُتُبـا.

وَهَل كُنتَهُ الموت؟

هُمُ سألوني : السيفَ قلناهُ : هل تُسعَدْ؟
أجبتُ : أجعلوها اثنين : سيفاً ولا يُغمد

أخي نوفلُ، الأبطال تُبكى. احتَفِلْ بها
دموعي، ويَبكي فَرقَداً في العُلى فرقد

شُغِفْتَ بِشعري؟ قُلتَه شَكَّ رامحٍ؟
لَبيتُ قَصيدي أنت، والكَلِمُ الخُرّد

* في رثاء نوفل الياس

تُصفِّق لي، ها صَفحتي قُبَّةُ السما
بأنجمها ما جَمّع اللهُ أو بدّد

تقيّم شعراً؟ حسبُه منكَ هَتْفَةٌ،
لها اللهُ! بَدْرُ التَمّ خُطَّ على أسود

وهل كُنتَهُ الحَرْمونَ؟ وجهٌ الى هُنا
ووجهٌ الى هَنَّاك، طَلْقٌ فلا يُربَدْ[1]

وماذا هُنا... هَنّاك؟... قُل كلُّ بُقعة
حللتَ بها عاطيتَها خَمرةَ السُؤدَد

فديتُك! مِن لبنان أنت زَها بها،
جَمعتَ كما المُعطي، تركْتَ كما المُفرد

لأشمَخُ تِيهاً حين أذكر قولةً
لك، اختصرت نُبلَ الوفا ومَضت تَشهد :

---

١) لا يُحبس

ـ لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أظلُّني،
« وإن يَجحدا أُعتَبْ جريحاً ولا أَجحد

أنا الجبل العالي، كما الله جارُه،
أَجَرِّدُ مِن ورد؟... أجرِّد لا أجرَد

*

ويـا ناثِـرَ الـدُّر، المنابـرُ اوّهت
عليك، وجُرحاً بات مَن كان قد غرّد

وقد أخذت عنك المنابرُ لَفحَهـا،
وطايبها الشِعـر الـذي بعـدَكَ استوحـد

شهـدتُكَ مـا بيـن الدُهـاة أميرَهـم
وسابِعَها ـ فَلْتكتَمِلْ ـ عُمُدُ المَعبد

ويُصغَى اليك، الحُجَّةُ البكر تَكتسي،
على فَمِك التيّاة، بالرونق العسجـد

فإن أنت فَنَّدتَ، السيوفُ تقطّعت
وإن أنت أَيَّدت، الهُدى كلُّه أيّد

شهـدتُك، هل لي أن أردَّك زعزعـاً ؟
تشيل بقوم أو تُحّـطُ ولا تَجهـد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبٌّ لأمـرِهِ
أقول الروابي انصعن وامتثل الجلمد

*

ويا خُطبةً لا النَسْيُ مَسّ جلالَهـا
ولا ليلُ مَوتٍ عاثَ فيها أو استنفذ

تَظِلِّين صَرحاً للأولى عبدوا النُهـى
وربَّ شُموخٍ في جبينِ النُهى يُعبد

*

بلـوتُ شجاعـاتٍ أنـا، وعَجَمْتُهـا
بما لِيَ من كِبْرٍ، ومن هِمَم مُرّد

ورحت بها أَفري العقول، أَحكُّها
على العاصف استوحيتُه البحرَ إن أزبد

واضربها في الهم والغمّ، انتخي
كأَنْ قدرٌ عزمي، كأَنْ قُبّبي مُيّد

ولكنْ مِن القبر استمع لي نهرتُها :
له، يا شجاعات، اسجدي، كلّهم سجّد

*

ويا نوفلَ الأبطال، جرّعك الأسى
أَنِ الأرزُ في لبنان أُوقِف لا يصعَد

وأغمضتَ عيناً خلّفتهن سُيَّباً
جبالاً وشطآنا وبحراً بنا استمجد

وعدتُك : لبنانٌ يعود، وسيفُه
على الكل، لا أبهى لِشعب ولا أخلد

حِمى عبقريٌّ، لا الى الغير عينُه
ولا القرش مولاه، وعدتُك لا يُفقد.





فهرست الكتاب

الوثيقة التبادعيّة

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

الطبعة الاولى ١٩٧٦
الطبعة الثانية ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون
نظام سياسي، فن حياة

١

سكّان كوكب الأرض، عشيةَ الالف الثالث بعد المسيح، يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قَفز قفزة كبيرة صوب معرفة ذاته. لم يبق يُرضيه ان نَضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهَه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسةٌ، اكبر تعاسة، ان نَقتلع الانسان من ايمانه بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكبَ الذي ما كان قد كان، لولا نشاطُه هو الانسان، سوى صخرة بلا قيمة مرميّة في الفضاء، هي تبقى الى مليارات السنين وهو، الذي ثَمّرها وبَدَع مدنيّتَها، يَكُفُّ عن وجود بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور، عَصْرَ أخذوا يقدرون الجودة فى وجه الكثرة، أعاد الايمان بأبدية الانسان. مع كل موكبها: الهٌ قادر على كل شيء، بادعٌ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقتُه التي تُكرَّم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرُب ان تصير مِثلَه أو تَبعُد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »، « أزل »، « أبد » — ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة واحدة — بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان بالله. ان السرمدية، بجزئيها الازل والابد، يَملكها الله وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أمّا الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوبُ ان يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقلّ من أن يدع ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كلُّ عاقلٍ راق سوف يَلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. وومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يَحكم نفسه بمُوجبها، ويمضي خطُ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ الناس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تَنَوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العادِيين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيافيل وهوبس. كلٌ من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلَقاً بعينه. وإنما يخيّل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد : « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة ؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرةَ وجود من هو رب البقاء : الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقفُه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان ـ الموهبة، هكذا تَفتّق له أن يَعمل حكوماتِه.

تعال نمشي مع هذا الخط .

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يكون له مَلِك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعَى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحي هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلّا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدمنا الوطن. لكنا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمه الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمّه الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيَّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون ـ الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتُهُ، تاجُه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمْويين أو أنتر أُمْويين. وهنا، في مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقّد متطلباتُنا وتتعقد الانظمة السياسية التي تطمَح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوبَ الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لِتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يدع، بحق وبسهولة، إلّا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بِدَع، إلّا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعملَ الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتِهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلوَ على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم البِدَع وأدواتهم البِدَع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحَدّ من الحرية، ولا بحال تُفَضّل الكَثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفَرْض الذي تقوم به اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود العظيم، الذي منه يَنبعُ كل شيء، هو حريّة. بنتيجة وعي هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ، نُدرك ان افضل تفتّح للانسان يَتمّ في الحرية. لكي تتبادع يَستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يَستحيل ان يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضلُ وادرّ على اصحابه وألَذّ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يَرفضَها بشيء من

التهوّر او من الخفّة. مَثَلٌ على هذه الوسائل : المال. إن تَصنيمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال احياناً يثمّر نفسه لصالح نفسه، يجعَل الانسان زلْمةً له، هذا لا يجوز ان يجعلنا نستهين بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخَيّر من مكان الى مكان. استبدالُ المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال كالابجدية : الشَّعب الذي عملهما كليهما عَملهما لا يزاد عليهما شيء. تَقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند الجماد أو النبات أو الحيوان. والانسان عَمِل المال والابجدية ؟ المالُ والابجدية يبقيان للانسان. واضحٌ مَن المالك ومَن المملوك. تَتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء. والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها الكبار : بدويٌّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن، قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل منها مفتاحاً ثمنُه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالِم، استخرج منها طاقةً ثمنها ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها، تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضافُ اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبقى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثلُهُ الرأسمال وحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر ان تكون له إلّا اذا كانت لغيره، تُدفّعُه من هذا المال، لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه اللعبة، بقدْر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمِّنة خير الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سَنَد لتفجير الخير. ومن الخير تتغذّى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر على تنفيذ المُخطَّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذٌ من المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءٌ للمكان الواجب أن يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج تَلَذّه زيادةُ مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني في تنمية تبادع أُمّته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم العالَم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجُودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء : الشخص ـــ انتَ والغير ـــ العملَ، التعاملَ، الأهدافَ وحتى الاحلام. من هنا ان التبادعية جُودةٌ عمومية، للانسان وللشيء معاً. هي اذن رَفْضُ مجتمعِ الانتاج للاستهلاك، رفضُ السُّرعة التي تَلْهَث ولا تُوصل إلّا الى المكان الذي

يان في النهاية أنّه متأخر عن المُنطلَق، رَفْضُ العمل الكَثْرويّ الذي لا يَنْقَعُ غلّة. على النقيض من كل هذه يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه ويجودِنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى فنّان حياتك. فرْق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك وان تتجودن. التبادعية ليست حركةَ ازدياد، انها بالاحرى، حركةُ كَسْر طَوق، نَفاذٌ الى درجة في الوجود أعلى. حتى المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية، جَوادات قلب ايضاً : نخوةً، وعطاء، ومحبة للكلّ، وصِدْقاً، وقدرة على تذَوق الجمال، وشجاعةَ كلمة خلّاقة، ولفتةٌ تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربةٌ على لُعَبٍ شَبيهةٍ شيئاً بِلُعَبِ الله.

فهرست المجلد





